الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر- باتنة -

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية
تخصص لسانيات الخطاب

الحِجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

إعداد الطالب :
حسين بوبلوطة

إشراف الأستاذ :
د/ إسماعيل زردومي

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
د/ محمد بوعمامة	أستاذ محاضر	باتنة	رئيسا
د/إسماعيل زردومي	أستاذ محاضر	باتنة	مشرفا ومقررا
د/ لخضر بلخير	أستاذ محاضر	باتنة	عضوا مناقشا
د/ صالح خديش	أستاذ محاضر	خنشلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2009- 2010

يقول الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾

البقرة 257

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين ، أطال الله عمرهما

وإلى جميع الأهل والأصدقاء

المقـــدمـــة

يكتسي الخطاب أهمية كبيرة قديما وحديثا ، وقد تعددت أوجهه بين ما هو شفوي وما هو مكتوب.

والخطاب الحجاجي موظف فيهما باستمرار وهو الركيزة الأساسية في إيصال الأفكار، وتحقيق المقاصد بين " المتكلم " و " المتلقي" ونجده يتضمن كل وسائل الإثارة والإقناع والتحاور لاسيما في القرآن الكريم ، و في الخطابات الفلسفية والقضائية وغيرها...، فهو كما نرى موضوع متشعب الروافد ومتعدد المنابع.

ودراسة الخطاب الحجاجي يوغل به التاريخ منذ القدم إذ يعود إلى الحضارة اليونانية (السوفسطائيون ، أفلاطون ، أرسطو) إذ كان مزدهرا جدا ويوظف البرهان والحوار بغرض الإقناع والتأثير، ونجد أرسطو منبعا لكل الدراسات التي تلته.

وقد انتبه العرب إلى هذا النمط الخطابي من خلال مصنفاتهم ودراساتهم التطبيقية، كما يتجلى ذلك في كتب العقائد والأصول ، وفي الشروح والتفاسير ، وفي الخطب والمناظرات...

لهذه الأسباب وغيرها آثرت الخوض في هذا الموضوع ومحاولة الكشف عن خباياه ، والوقوف على أهم سماته وأنواعه بمنظور حداثي ، كما آثرت أن أوضحه من خلال مدونة تراثية وهي " الإمتاع والمؤانسة " لأبي حيان التوحيدي " ، لما تمتلك من خصوصيات ، تجعلها مجالا خصبا لهذا الطرح وحاولت قراءة هذه المدونة بالاعتماد على آليات الحجاج البلاغي وآليات الحجاج اللغوي ، لكونهما دعامتين بارزتين في الدراسات الحجاجية الحديثة.

لذا قسمت البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول مع مقدمة وخاتمة.

* التمهيد : يحمل عنوان المسار التاريخي للحجاج عند الغرب والعرب قديما وحديثا .

حاولت فيه الوقوف على تقصي مصطلح " الحجاج " انطلاقا من الحضارة اليونانية وصولا إلى الحضارة العربية، ثم نظرة المحدثين لهذا المصطلح.

* الفصل الأول : الذي يحمل عنوان" الحجاج مقاربة نظرية"

وجعلته مهادا نظريا أعود إليه كلما اقتضت الضرورة ، وعرضت فيه تعريف الحجاج معجميا واصطلاحيا ، وأبرزت أهم مميزاته ، ثم ذكرت المرتكزات التي تقوم عليها الدراسة التطبيقية في بحثي وفق رؤية منهجية للخطاب البلاغي واللغوي

* أما في الفصل الثاني والذي عنونته ب " آليات الحجاج البلاغية في الإمتاع والمؤانسة " وهو فصل تطبيقي فقد خصصته لتطبيق آليات الحجاج البلاغي مستعينا بنصوص من الإمتاع والمؤانسة.

* وفي الفصل الثالث : وعنوانه آليات الحجاج اللغوي في الإمتاع والمؤانسة ، الذي أفردته لتطبيق آليات الحجاج اللغوي على بعض نصوص المدونة.

وأخيرا تناولت في الخاتمة استخراج بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

هذا وقد اعتمدت في بحثي على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها : المدونة التي طبقنا عليها وهي" الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي " ، كما استفدت من أخرى أهمها أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود ، واللغة والحجاج للعزاوي ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول لمحمد العمري ، بالإضافة إلى كتب تراثية كالبيان والتبيين للجاحظ ، هذا بالإضافة إلى كتب أخرى لاسيما العربية أو المترجمة.

ولكن الذي يجب الإشارة إليه هو أن لهذه المحاولة صعوبات ، تأتي في مقدمتها قلة المصادر والمراجع المتخصصة في هذا الموضوع ، والموجودة تكمن صعوبتها في الطرح ، فهناك اختلاف وتباين من باحث لأخر ، وعدم الاتفاق على منهج واحد ورؤية واحدة وربما هذا راجع إلى الترجمة ، وهذا ما يؤثر سلبا على صياغة قواعد ثابتة.

ويعد الفضل الكبير في إنجاز هذا البحث لمن جعلته سندي وسألته فأعطاني إلى ربـــي منير دربي.

ثم إلى أستاذي المشرف الذي يسّر علي بعض ما تعسر بملاحظاته وتوجيهاته القيمـــة الخوض في هذا البحث الصعب ، فله كل الامتنان و التقدير.

وفي الأخير أقدم كامل التقدير لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة باتنة الذي قدم لنا كل التسهيلات لانجاز هذا البحث.

وبالله نسأل التوفيق

التمهيد

*المسار التاريخي للحجاج

لقد اندرج الحجاج قديما في الخطابة والبلاغة ، وكثيرا ما ورد في الثقافتين الغربية والعربية بتسميات مختلفة ، جاء بمعنى الجدل ، التناظر ... ، وما إلى ذلك ، انطلاقا من مؤلفات اليونان إلى أهم ما ورد عند العرب ، وعلى ذلك سنتعرض إلى تطوره التاريخي عند الغرب والعرب.

- المسار التاريخي للحجاج عند الغرب قديما :

حين نفحص تلك الجهود السابقة نجد أن الفلاسفة اليونانيين ، أمثال سقراط وتلميذه أفلاطون ومن بعدهما أرسطو و السوفسطائيين الذين قدموا بعض الأساليب الحجاجية الماهرة التي اشتهروا بها ، وأصبحت من المكونات المحورية في عمليات الحجاج من بعدهم ، وسوف نقوم بعرض بعض ما قدمه هؤلاء الفلاسفة.

1- الحجاج عند السوفسطائيين :

لقد غير السوفسطائيون مفهوم الفلسفة من اهتمامهم بالطبيعة إلى اهتمامهم بالإنسان ،وقد عبروا عن هذا التغير باهتمامهم الكبير باللغة والبلاغة والخطابة ويعتبرون أول الواضعين الحقيقيين لعلم الخطابة وقد عبر عليها "جورجياس" "gorgias" بقوله " الخطابة هي الفن الحقيقي والأسلوب الصحيح في التفكير "[1]، كما أصبح الكلام عندهم فتانا ومخادعا بعد أن كان موحدا للحقيقة ومقدما للمعرفة وأصبح أيضا أداة ووسيلة إقناع واقتناع ، تحملك على الاعتقاد والظن بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتماما للحق والباطل.[2]

كما استندت ممارستهم للحجاج أيضا إلى تصورهم للنافع فهم لم يعلقوه بالخير بل علقوه باللذة ، فحسب أفلاطون لذة الاستهواء بالنسبة للمقول إليه ولذة النفع بالنسبة للقائل وفي هذا الصدد يتنزل مذهب "كوراكس" "Corax" وهو " استغلال المحتمل وتوجيه

(1) – الزاوي بغورة : الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 2005 ، ص12

(2) – ينظر المرجع نفسه ، ص 13

الحجاج بحسب النفع الذي يقصد إليه المحاج "[1] ، وقد أضحت هذه الممارسة منهجا متبعا في الحجاج .

كما كانوا يمارسون الحجاج للحصول على سلطة المجتمع ويعلمون الشباب الخطابة ويهيئونهم بذلك على السلطة وكانوا يتقاضون مالا وفيرا على ذلك، فالسوفسطائي كان يشتغل بالتعليم و كما قال " بروتاغوراس " : " أوافق على أني سوفسطائي ووظيفتي هي تعليم الناس "[2] .

فكانت غايتهم تعليم طلبتهم البلاغة والإلقاء والقدرة على الجدل حتى يستطيعوا أن يواجهوا كل مسألة تعرض ، إما بفكرة صحيحة أو التلاعب بالألفاظ لإفحام السائل ، لذلك كان من أهم تعاليمهم علم البلاغة ، فهم يعلمون الشباب كيف يخدمون الفكرة وعلى أي وجه كان سواء بالحق أو بالباطل .حتى روى عن أحدهم أنه قال : " ليس من الضروري أن تعلم شيئا عن الموضوع لتجيب وقال : إن في استطاعته أن يجيب كل سائل عن كل ما يسأل ، فهم يعلمون كيف يكسبون الخصم بشتى الوسائل كاللعب بالألفاظ ، الاستعارات والكنايات الجذابة بخداع المنطق وتمويه الحقيقة ، ومن أجل ذلك سمي اللعب بالألفاظ والتهريج في الحجج (سفسطة) "[3]

من خلال ما أورده السوفسطائين ، نفهم أن نظرتهم للحجاج تكمن في التلاعب بالألفاظ، والهروب من الحقيقة ، باستعمالهم حججا واهية وخداعة يحاولون من خلالها التأثير وإقناع المتلقي.

---

(1) – فريق البحث في البلاغة والحجاج : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود ، منشورات كلية الآداب منوبة ، 1998 ، عن هشام الريفي : الحجاج عند أرسطو ، ص 60

(2) – المرجع نفسه، ص 61

(3) – أحمد أمين وزكي نجيب محمود : قصة الفلسفة اليونانية ، مطبعة الجنة للتأليف والترجمة والنشر ، ط 5 ، 1964 ، ص 99

2 – الحجاج عند أفلاطون :

لقد انطلق أفلاطون في ممارسة الحجاج من خلال الصراع الذي نشب بينه وبين السوفسطائيين ، من هذا المنطلق نطرح السؤال التالي : ما هي الأصول التي بنى عليها الحجاج ؟

يمكن أن نستخلص فكر أفلاطون في العملية الحجاجية من خلال المحاورات التي أقامها مع بعض السوفسطائيين .

في المحاورة التي أقامها مع " قرجياس " بحث في موضوع الخطابة ووظيفتها ، بحث في شرعية قيام هذا القول ، فقد فحص موضوع الخطابة في مقابلته علم / ظن ، وذكر أن الإقناع نوعان إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد الظن والإقناع الثاني في رأيه هو موضوع الخطابة السوفسطائية ، فالعلم يقوم على مبادئ صادقة وثابتة فالإقناع من هذه الوجهة يكون مفيد يكتسب الإنسان منه معرفة ، في حين نجد أن الظن يقوم على الممكن والمحتمل فهو لا يكسب معرفة بل ينشئ اعتقادا.[1]

وفي مقطع آخر من هذه المحاورة قيم وظيفة الخطابة في ضوء المقابلة خير / لذة وذكر أن هناك صنائع تحقق الخير للإنسان وهي جسمه ونفسه ، وذكر أن هناك ممارسات تخاتل الإنسان وتخدعه ، فهذه الممارسات جعلها تحت اسم جامع هو " التملق " فهذه الكلمة تفيد اللذة والخداع ، وفي رأيه أن الخطابة السوفسطائية هي " قول يتناول الظاهر لا الحقيقة ويقصد تحقيق اللذة لا الخير "[2]

نتبين مما سبق أن أفلاطون اعتمد في تقييم القول على منهج بحث في صلة القول بالقيم ففي المقطع الأول وزن القول الخطبي (قول حجاجي) بمعيار العلم ووزنه في المقطع الثاني بمعيار الخير.

---

(1) – ينظر هشام الريفي : الحجاج عند أرسطو ، ص 63

(2) – المرجع نفسه ، ص 64

وفي محاورته مع " ليزياس " هذا الأخير الذي أراد أن يؤثر في الحياة ويبجل اللذة على الخير ، أراد أفلاطون أن يبين له أن الظن الذي يعتمده في حججه واه ولا أساس له من الصحة ، لأن موضوع الخطابة حسبه يعتمد على معياري العلم والخير.[1]

وهكذا فإن محاورة أفلاطون مع السوفسطائيين تظهر مكانة الخطابة في المجتمع اليوناني القديم .

ونستخلص فكر أفلاطون في الحجاج من خلال هاتين المحاورتين أن مقصد الحجاج ينطلق من الخطابة التي تعتمد على دعامتين أساسيتين هما العلم والخير. على عكس الحجاج السوفسطائي الذي يعتبره حجاجا مخادعا لا أساس له من الصحة.

3 – الحجاج عند أرسطو :

يعتبر " أرسطو " العمدة في عملية الحجاج ، فهو المرجع الأساسي لمن جاء بعده غربا أو عربا

تناول أرسطو الحجاج من زاويتين متقابلتين ، من زاوية بلاغية ومن زاوية جدلية ، فمن الزاوية البلاغية يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع ومن الزاوية الجدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة ، فهاتان النظرتان المتقابلتان تتكاملان في التحديد الذي يقدمه "أرسطو" لمفهوم الخطاب إذ يبينه انطلاقا من أنواع الحضور ومن الرغبة في الإقناع ويحدده في ثلاث أنواع : النوع الاستشاري ، النوع القضائي والنوع القيمي.[2]

وقد ميز بين ثلاث مستويات من الحجج :

(الايتوس ، الباتوس ، اللوغوس) في علاقتها بالأفعال الثلاث للفعل الخطابي : الخطيب ، المستمع ، الخطاب.

---

(1) – هشام الريفي : الحجاج عند أرسطو ، ص 71

(2) – ينظر : محمد طروس : النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثقافة ، المغرب ، ط1 ، 2005 ، ص 15

الايتوس : يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه.

الباتوس : ويشكل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين

اللوغوس : ويمثل الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي.[1]

والأهم من ذلك الاختلاف الدقيق الذي أقامه أرسطو بين الحجاج الجدلي والحجاج الخطبي ، إذ رأى أن : " الأول أوسع من الثاني فهو يمارس في فحص قضايا الفكر وفحص جوانب من الأحكام المتعلقة بالسلوك كما يمارس في توجيه الفعل وإن كانت ممارسته أدخل في البحث الفكري، أما الثاني فمجاله هو توجيه الفعل وتثبت الاعتقاد أو صنعه "[2]

كما نجده قد فصل في قضية القائل والمقول إليه وفعل بناء القول الحجاجي ، فقد فرق بين المناقشة الجدلية والخطبة فوجد بينهما اختلافا في خصوص إسهام المقول إليه في فعل بناء القول الحجاجي .

فالمناقشة الجدلية هي " جنس حجاجي ينشئه طرفان اثنان فهذا هو الشرط الأساسي لتقديم مناقشة جديدة حسب أرسطو ، فهاذان الطرفان يتقاسمان في بناء المناقشة فعلين أساسين وهما السؤال والجواب ويسمي أرسطو أحد الطرفين السائل والطرف الآخر المجيب فهما يكونان متلازمين في فعلي السؤال والجواب على أن السائل هو الطرف المهم في الجدل حسب أرسطو"[3]. أما الخطبة فلا تقوم على السؤال والجواب في رأيه فهي : " قول ينشئه الخطيب وحده والغرض المقصود منه في كل الحالات هو الإقناع

---

(1) – محمد طروس النظرية الحجاجية ، ص 18

(2) أرسطو طاليس : الخطابة ، ترجمة عبد الرحمان بدوي ، وكالة المطبوعات الكويت ، دار القلم بيروت ، لبنان ، 1979، ص 8

(3) – المرجع نفسه ، ص 17

ب(حكم) وإلى الحكم يستند الفعل والحكم يمثل جوابا عن سؤال يكون استشارة الوضع الخلافي المنشئ للحجاج عموما "[1]

مراحل إنتاج القول الحجاجي عند أرسطو :

المراحل الأساسية لإنتاج القول عند أرسطو ثلاثة وقد رتبها بحسب تتاليها في زمن الإنشاء على النحو التالي [2] :

المرحلة الأولى : سماها (euresis) وتعرف في اللاتينية (invention) وهي مرحلة البحث عن مواد الحجاج ولم يستعمل الشراح من فلاسفة العرب كلمة مخصوصة توافق المصطلح الأرسطي ، أما "بدوي" فاستعمل في ترجمته عبارة (مصادر الأدلة).

المرحلة الثانية : سماها أرسطو (taxis) وتعرف في اللاتينية (disposition) وقد استعمل الشراح من فلاسفة العرب كلمة (ترتيب) أما "بدوي" فاستعمل في ترجمته عبارة (ترتيب أجزاء القول)

المرحلة الثالثة :وسماه أرسطو (lexis) وتعرف في اللاتينية (elocution) وقد استعمل ابن رشد كلمة(فصاحة) مقابلا لها واستعمل ابن سينا عبارة (تحسينات واختيار الألفاظ للتعبيرات) أما "بدوي " فاستعمل كلمة (أسلوب).

وقد أضاف إلى المراحل الثلاثة السابقة مرحلة رابعة سماها (hipocrisis) وتعرف في اللاتينية (actio) ، واستعمل ابن سينا في مقابلها الأخذ بالوجوه والنفاق على أن كلمة(hipocrisis) في الإغريقية لا يوجد فيها معنى تهجيني ، وكانت تستعمل في المسرح وتدل على تقمص الممثل للشخصية التي يؤدي دورها ، أما ابن رشد فاستعمل في مقابلها الأخذ بالوجوه.

وقال في تفسيرها : " قبل أن نقول في الألفاظ ينبغي أن نقول في الأمور المستعملة مع الألفاظ على جهة المعونة في وجوده لتفسير وإيقاع التصديق وبلوغ الغرض المقصود"[3]

---

(1) – أرسطو : الخطابة ، ص 19

(2) ينظر هشام الريفي : الحجاج عند أرسطو ، ص ص 173 174

(3) – المرجع نفسه ، ص 175

- المسار التاريخي للحجاج عند العرب قديما :

لقد أولى العرب قديما الحجاج عناية كبيرة ، وقد تجسد في العصر الإسلامي لاسيما في القرآن الكريم والسنة النبوية ، كما تبلور أيضا في علوم شتى كالعلوم الفلسفية واللغوية، كما كان يضرب في المسامرات والمناظرات والنقاشات التي كانت تعقد بين العلماء وغيرهم.

1- الحجاج في القرآن الكريم :

لقد ورد الحجاج في القرآن الكريم بمعانيه المختلفة ،فقد جاء بلفظ حجاج وجدل وبرهان، ونلمسه في آيات كثيرة، ونأخذ قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾[1]

ولقد فسر هذه الآية محمد الطاهر بن عاشور بقوله : " معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها ،ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة وأن الأغلب أن يفيد الخصام بباطل"[2]

وقال أيضا ابن عاشور في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى﴿ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾[3]، وفسرها ابن عاشور بقوله : " والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك "[4]

وقال في موضع آخر : " المجادلة : المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه ،فتكون في الخير كقوله تعالى " يجادلنا في قوم لوط " وتكون في الشر كقوله " ولا جدال في الحج"[5]

---

(1) - سورة البقرة ، الآية 257

(2) محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، نقلا عن عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي ، بيروت ، ط2 ، 2007 ، ص 11

(3) - النساء ، الآية 107

(4) - المرجع نفسه، ص 11

(5) - المرجع نفسه ، ص نفسها

نستخلص من كلام ابن عاشور من خلال تفسيره لبعض الأيات مايلي :

أنه جعل الحجاج مرادف للجدل ، والجدل هو " فعل الجدل المدافعة ليظهر الحق أي دفع السائل ، وعلم الجدل هو العلم الذي يعرف فيه صحيح الدفع وفاسده ، وبعبارة أخرى الجدل كفعل رد للخصم عن رأيه إلى غيره بالحجة ، والجدل كعلم آلة يتوصل بها إلى فتل الخصم عن رأيه إلى غيره بالدليل أو قانون صناعي يعرف أحوال المباحث من الخطأ والصواب على وجه يدفع عن نفس الناظرو المناظر (المعلل والسائل) الشك والارتياب"[1]

أنه جعل معنى حاج في الآية الأولى بمعنى المخاصمة، وتكون هذه المخاصمة بباطل وليس بحق

كما بين أن الجدل هو القدرة على الخصام لتقنع به غيرك

قسم الجدل إلى قسمين ، الجدل الذي أريد به الخير أو الحق ما يسمى كذلك بالجدل المحمود والجدل الذي أريد به الباطل أو ما يسمى بالجدل المذموم

كما أننا نجد أن كلمة برهان وردت ثمان مرات ومنه قوله تعالى ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2]

وقد فسرها " الزمخشري " في " الكشاف" ، بقوله : " قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، فقل هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم ، وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين ، وأن كل قول لا دليل عليه فهو باطل "[3].

فالبرهان أن تأتي بدليل قاطع لتثبت صحة دعواك ، أي لا يكون فيه أي شك واحتمال .

---

[1] – حمو النقاري : منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط1 ، 2005 ، ص 366

[2] – البقرة ، الآية 111

[3] – أبو القاسم جار الله الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجه التأويل ، تحقيق : الشريف علي بن محمد بن علي السيد و أحمد بن محمد الاسكندري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، دط ، 2006 ، ص 305

ونجد أيضا أن الحجاج في الحديث النبوي الشريف قد تباين واختلف من حديث إلى آخر، ومن أشهر ما يستدل به في الموضوع حديث الرجل الذي جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ناكرا لون ولده قائلا : " يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاما أسود فقال له الرسول : هل لك من إبل قال نعم ، قال ما ألوانها ؟ قال حمر قال : هل فيها أورق ؟ قال نعم ، قال : فمن أين ذلك ؟ قال : لعل عرقا نزعه فقال الرسول ، وهذا الغلام لعل عرقا نزعه "[1]

وهذا تبيين لاستدلال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي علينا إتباعه والامتثال لأوامره من غير أن نطالبه بدليل ، فهو يبين لنا الأدلة ويرتبها حق ترتيبها

رأينا آنفا أن الحجاج اختلفت مدلولاته وتشابكت بين الحجاج والجدل والبرهان لاسيما في القرآن والحديث النبوي .

2 – الحجاج في البلاغة العربية القديمة :

يجدر بنا الآن أن نقف عند أقطاب البلاغة القديمة الذين وظفوا الحجاج في مؤلفاتهم ، وشكل بنية أساسية في إبداعاتهم ومنهم :

* الجاحظ ونجده في كتابه "البيان والتبيين" ، قد تناول فصولا كثيرة فيما يتعلق بالحجاج ، ففي الفصل الذي تناول فيه البلاغة، حاول إيضاح هذا المفهوم بالاستشهاد بصحيفة تنتمي إلى الثقافة الهندية إذ يقول : " أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة..."[2] ففي هذا النص يتضح لنا أن غاية الجاحظ هي الخطاب الإقناعي الشفوي وهو إقناع تقدم فيه

---

[1] - حمو النقاري : التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ندوات ومناظرات رقم 134 ، ط1 ، 2006 ، عن علي الإدريسي : في تأسيس الحجاج لدى مفكري الإسلام ص 83

[2] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، د.ط ،د.ت ، ص92

الغاية(إقناع)على الوسيلة (اللغة)، وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال ، كما يستشهد أيضا بخطابات من أقوال العرب سواء في النثر أو في الشعر ، فهو يتعامل مع كل جنس بوصفه خطابا ويتحفظ بكل جنس بوصفه خطابا ويتحفظ بكل جنس بخصائصه التي تميزه على مستوى الشكل، وهذه من مزاياه النادرة، فمفهوم الخطاب الإقناعي عنده لم يقتصر على جنس بعينه.[1]

ونجده في بعض مناظراته قد ردّ على الذين رفضوا البيان ، فقال : " ... ولو كانت كتب الزنادقة كتب حكم وكتب فلسفة وكتب مقاييس وسنن وتبين وتبيين ... لكانوا ممن قد يجوز أن يظن بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيين ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة وعلى طريق تعظيم الملة..."[2].

فهنا الجاحظ هاجم كتب الزنادقة لأنها لا تقوم على البيان والتبيين ، لذلك قصّر من قيمتها ، فهو يرى أن كتبهم تقوم على مذهب الديانة وتعظيم الملة.

* أما أبو هلال العسكري فقد ربط الحجاج بالشعر ،معناه أن الشعر له وظيفة حجاجية كبيرة لأن الشاعر يقول كلاما يحس به ويشعر به دون غيره لذلك فهو يريد أن يصل إلى مرام وأهداف حجاجية من خلال شعره.

يقول "أبو هلال العسكري" : " وهو الذي يملك ما تعطف به القلوب النافرة ويؤنس القلوب المستوحشة وتلين به العريكة الأبية المستعصية ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجة"[3]

فالشعر هو الفن الأساسي الذي تقام به الحجج، والشعر قد ينهض بوظيفة الحجاج وليس بوظيفة الجدل حسبه. كما تكلم أيضا عن قضية المقام وكيف يضطلع في الحجاج .

---

(1) – ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، 2004 ، ص ص 448 – 449

(2) – الجاحظ : الحيوان ج1 ، ص 56 ، نقلا عن : محمد الصغير بناني : النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية من خلال البيان والتبيين ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ، الجزائر ، 1983 ، ص 182

(3) أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 : 2006 ، ص49

* أما أبو الوليد الباجي فقد أورد في كتابه " المنهاج في ترتيب الحجاج " أن الحجـــاج " يعد علما من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا ، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييـــز الحق من المحال ،ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضـــحت محجـــة ،ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"[1]

من هذا الكلام نفهم بأن الحجاج من العلوم التي تتوفر على أركان وركائز وطرائـــق ووجوه لمفهومه ، بل يمكننا القول بأن الحجاج عند " أبي الوليد البـــاجي " هـــو مـــرادف للجدل لأن لولا الجدل لما قامت حجة ...

كما نطق الكتاب الكريم أيضا بالمنع من الجدل لمن لا علم له والحظـــر علـــى مـــن لا تحقيق عنده، ويستشهد بقوله تعالى ﴿ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِـــهِ عِلـــمٌ فَلِـــمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾[2]

وقد أورد الأمر كذلك للذين يعلمون ويتقنون فن الجدل فاستشهد كذلك بقولـــه تعـــالى ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[3]

كما أنه استشهد أيضا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأقوال الصحابة

ونستخلص أن أبا الوليد الباجي يرى بأن على المناظر أو المحاجج أن يتبـــع الطريـــق الصحيح للجدل ،بمعنى آخر أن الجدل المحمود أو الذي أريد به خير أثناء المناظرة مـــثلا هو الذي يعرف ويعلم فن الجدل ويمنع أصحاب الجدل المذموم لأي الذين يجادلون بـــدون علم.[4]

* أما فكر" ابن وهب الكاتب" فيما يتعلق بالحجاج فقد ربطه بالجدل والمجادلة ،وهذا ما نجده في كتابه الموسوم "البرهان في وجوه البيان" ،ويمكن أن نلخـــص فكـــره فـــي هـــذه القضية.

---

[1] – أبو الوليد الباجي : المنهاج في ترتيب الحجاج ، تحقيق عبد المجيد تركي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ،ط3 ، 2000 ، ص8

[2] – آل عمران ، الآية 65

[3] النحل ، الآية 125

[4] – ينظر المرجع نفسه ، ص 9

قدم ابن وهب تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة وعرفها بقوله : " وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه المتجادلون ،ويستعمل في المذاهب والديانات ،وفي الحقوق والخصومات والتنصل في الاعتذارات"[1].

نفهم من كلام "ابن وهب " أنه وضع الحجاج تحت اسم الجدل ،فهو يقع في العلة من بين سائر الأشياء ،وينبغي للمجيب أن يقنع وأن يكون إقناعه الذي يوجب على السائل القبول.

لقد صنف وقسم الجدل إلى تصنيفات أخلاقية وميز بين الجدل المحمود والجدل المذموم. " فأما المحمود ،فهو الذي يقصد به الحق ، ويستعمل فيه الصدق ، وأما المذموم فما أريد به المماراة والغلبة ، وطلب به الرياء والسمعة "[2]

كما بين أيضا أن العلماء وذوي العقول من القدماء قد اهتموا بقيمة الاحتجاج وإقامة الحجة ، حيث قال : " وقد أجمعت العلماء وذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجته ، وبين عن حقه ، وقصر عن القيام بحجته "[3]

وقد اشترط " ابن وهب " في أدب الجدل مايلي[4]:

- أن يحلم المجادل عما يسمع من الأذى والنبز
- ألا يعجب برأيه وما تسوله له نفسه
- أن يكون منصفا غير مكابر ، أنه يطلب الإنصاف من خصمه ، ويقصده بقوله وحجته
- ألا يستصغر خصمه ويستهين به.

* أما حازم القرطاجني فإن أهم ما جاء به في كتابه الموسوم " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " أنه أورد الحجاج على أنه من أوجه الكلام ، إذ يقول : " لما كان كل كلام يحتمل

---

(1) – أبو الحسين إسحاق بن وهب : البرهان في وجوه البيان ، تقديم وتحقيق : جفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، عابدين ، مصر ، د ط ، د ت ، ص176
(2) – المرجع نفسه ، ص 176
(3) المرجع نفسه ، ص 177
(4) – المرجع نفسه ، ص 190

الصدق والكذب ، إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص ، و إما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال "[1]

نفهم من كلامه أنه ميز بين نوعين للكلام بين الإخبار والاقتصاص وبين الاحتجاج والاستدلال.

كذلك تمييزه بين طريقتين لإقناع الخصم وهما التمويهات والاستدراجات ، وهما من الاستراتيجيات المهمة في عملية الإقناع ، يقول حازم في ربطه التمويهات بالاستدراجات: " التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون ما أنّه على غيره ماهو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتذائها "[2].

وفي تمييزه بين هاتين الإستراتيجيتين يقول : ' التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله ، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريظه ، وإحراجه على خصمه ، حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول "[3].

ومن طرق تحقيق التمويهات عند 'حازم القرطاجني' مايلي [4] :

- طي محل الكذب من القياس عن السامع
- اغتراره إياه ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة لاشتباهها بما يكون صادقا
- ترتيب القياس على وضع يوهم أنه صحيح لاشتباهه بالصحيح
- إلهاء السامع عن تفقد موضع الكذب بضروب من الإيداعات والتعجبات ، تشغل النفس عن ملاحظة الكذب والخلل الواقع في القياس.

---

[1] – حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، 1966 ، ص 63

[2] – المرجع نفسه ، ص 64

[3] المرجع نفسه ، ص نفسها

[4] – ينظر المرجع نفسه ، ص 64 – 65

* أما ابن حزم الأندلسي فنجده انشغل كثيرا بالحجاج وهذا ما نلقاه في موسوعته الموسومة " الفصل في الملل والأهواء والنحل " ، إذ نجد في الكتاب فصولا حجاجية بغض النظر عن ضعفها وقوتها.

فقد زخرت كتاباته الفلسفية بطابع حجاجي ، حتى أصبح يلقب بالمفكر الحجاجي ، بدليل أنه كان لا يهدأ من السجال والحجاج والجدال بالمناظرات لدرجة أنه يناظر كل شخص يقابله ، لأن المناظرة والحجاج هي الحد الفاصل بين الصدق والكذب ، فقد اشتهر بالجدال العنيف ، فلم يكن مناظرا من أجل المناظرة بل كان مساهما في بناء الحقيقة ، فقد تميز بنزعة نقدية عقلانية تتمسك بالنص.[1]

كما تصدى للخصوم في كثير من المسائل بكل ما يملكه من أدلة عقلية وهي المعول عليها في الكلام والمعتمد عليها عند المتكلمين لأنها هي التي ترشد إلى الحق " ... لا يهمه في بيان ما يصل إليه رضا أحد أو غضب أحد ، وكان عالي الهمة ، لا ينماع في غيره ، تزيد قوة خصمه علوا ولا يضعف ولا يتبع إلا مصادر الشرع ، يعلو على الشديد ولا يستسلم ، ويعلو على المقاومة ولا يهن ولا يضعف ، وكان مع كل ذلك فيه حدة شديدة، فكان إذا ردّ قولا رماه بالشناعة ، ورمى صاحبه بالخروج عن الدّين "[2].

كما كان يعتمد كذلك خلال مناظراته على الأدلة العقلية ، وهي في نظر " ابن حزم " القرآن أو السنة أو إجماع الصحابة ، فهو يستبعد أي اشتراك إنساني في المسلك الديني ، فهو يؤكد بكل وضوح " أن الله إنما كلفنا إتباع القرآن وبيان الرسول الكريم الذي نقله إلينا أولو الأمر منا ، على ما بينا فقط ، ولأن أحكام الدين كلها من القرآن والسنن لا تخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما ، إما وحي مثبت في المصحف وهو القرآن ، وإما وحي غير مثبت في المصحف وهو بيان رسول الله "[3].

---

(1) – ينظر : حمو النقاري : التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، عن محمد آيت حمو : ابن حزم فارس الحجاج في الأندلس ، ص 127

(2) – المرجع نفسه ، ص 129

(3) عبد المجيد تركي : مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي ، تحقيق وتعليق : د. عبد الصبور شاهين ، مراجعة محمد عبد الحليم محمود ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1986 ، ص 166

لقد عرضنا بإيجاز نظرة بعض البلاغيين العرب إلى مفهوم الحجاج – بمعناه الحديث – قديما بتسميات مختلفة وذلك باختلاف توجهاتهم ، فقد ورد بمعنى البيان ومعنى الجدل ...، أما "ابن حزم " فمذهبه تعلق بعلم الكلام الذي عالج مشكلات العقيدة ، بالمناظرات التي أقامها مع بعض الطوائف ، والمناظرة قائمة أساسا على الحجج.

ويمكن القول أن هناك أقطاب أخرى لاسيما في البلاغة أو علم الكلام ، لكني اقتصرت على بعضهم فقط ، حتى أحاول أن أعطي نظرة شاملة على مفهوم الحجاج ، وقد رتبت البلاغيين العرب على اعتبار زمني حتى يكون هناك تدرج في تقصي مصطلح الحجاج.

ويمكن في الأخير أن نقول أن الحجاج في الفكر العربي الإسلامي القديم انحصر في لونيين خطابيين ، هما " خطابة الجدل والمناظرة فيما بين زعماء الملل والنحل ، وفيما بين النحاة والمناطقة ، وفيما بين الفلاسفة والمتكلمين "[1].

---

(1) – الدكتور جميل عبد المجيد : البلاغة و الاتصال ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، د ط ، 2000 ، ص 126

- **المسار التاريخي للحجاج عند الغرب حديثا :**

بعد أن تطرقنا إلى جهود القدامى ، ونظرتهم إلى الحجاج التي تجسدت عندهم بين الجدل بنوعيه والمناظرة والخطابة ... ، فهذا الموروث القديم قد أعطى نظرة عامة ، إن لم نقل كان بمثابة الركيزة الأساسية التي قامت عليها نظرية الحجاج المعاصرة.

نجد أن الدراسات المعاصرة عند الغرب قد نالت نصيبا عند ثلة من الباحثين ، الذي أسهموا بشكل كبير في تقمص نظرة جديدة للدرس الحجاجي وهذا استنادا للدرس الحجاجي القديم أو بالأحرى الحجاج الأرسطي ، الذي يعد الانطلاقة الأساسية للحجاج ، لقد تعددت الأسماء في هذا المجال ولكن سوف نقتصر على أهم الباحثين فقط من أمثال " بيرلمان وزميله " عند حديثهما عن البلاغة الجديدة ، وكذلك " ديكرو وأنسكومبر " في التداوليات المدمجة ، " وميشال مايير " في نظرية المساءلة وتولمين ومشروعه الحجاجي.

1- الحجاج عند بيرلمان :

لقد طور " بيرلمان " في مؤلفاته النظرية الحجاجية ، وبالتحديد في مؤلفه المشترك مع تيتكا (traitè de l'argumentation) " مصنف في الحجاج " ، الذي ظهر من قبل باسم " la nouvelle rethoriques" ، أو الخطابة الجديدة والذي ينزل الحجاج بين الخطيب وجمهوره أي أن يكون هناك تفاعل بين الخطيب والجمهور ، ونجد أن صلته بالخطابة الأرسطية واضحة ، كما استندا إلى تعريفهما للحجاج على صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية أخرى ، إذ يعرفانه (الحجاج) بأنه : " موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم "[1]

وقد علق عن هذا التعريف الدكتور جميل عبد المجيد في كتابه " البلاغة والاتصال " ، فقال : " يسعى كل واحد منهما إلى نشر ما لديه من فكرة أو معتقد ، أو بضاعة في سياق من الحرية ، لا باستخدام حد السيف فلم يعد أمام هذه التيارات إلا استخدام حد

---

(1) عبد الله صولة : الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكا ، ص 299 ، ورد ضمن أهمية نظرية الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم .

الخطاب ، خطاب التأثير والاستمالة وشاع هذا الخطاب وازدهر إلى حد يسمح كما يقول بيرلمان بأن نطلق على القرن العشرين قرن الترويج والدعاية "[1]

أما غاية الحجاج عندهما فلقد حدداها بقولهما : " تهدف نظرية الحجاج إلـــى دراســـة التقنيات الخطابية الهادفة إلى إثارة الأذهان وإدماجها في الأطروحة المقدمة وتفحص أيضا شروط انطلاق الحجاج أو نموه وما ينتج عنها من آثار "[2]

كما قسما أيضا الحجاج بحسب نوع الجمهور إلى نوعين هما [3] :

الحجاج الإقناعي : وهو حجاج يرمي إلى إقناع جمهور خاص .

الحجاج الاقتناعي : وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل وهو عام وهو النوع الذي ركزا عليه لكونه عقليا ، ويعتبرونه أساس الإذعان والحجاج ويحدث بين الاســـتدلال والاقناع.

ولقد لخص الدكتور محمد طروس أهم النتائج التي وصل إليها بيرلمان وزميله ويمكن أن نصيغها كمايلي [4] :

- إن أهم ما قدمه المؤلفان هو محاولة تخليصهم للحجاج من دائرة الخطابة والجدل الذي كان سليل هذه الأخيرة بخاصة عند أرسطو.

- تخليص الحجاج من بوتقة المنطق والأبنية الاستدلالية المجردة ، مقرباه من مجـــالات استخدام اللغة مثل العلوم الإنسانية والفلسفة و القانون ، ومن ثم فـــتح مجـــالات للحجـــاج وتخليصه من النظرة الضيقة التي جعلته أداة تقنية صرفة .

- اعتبار الحجاج حوارا غير مرتبط بالجدل كما رأينا عند أرسطو ، فهو حـــوار بـــين الخطيب وجمهوره ، ولا يمكن أن نعتبره مغالطة أو تلاعب بالمشاعر والعقول.

- الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية

---

(1) - الدكتور جميل عبد المجيد : البلاغة و الاتصال ، ، ص 115

(2) - محمد طروس : النظرية الحجاجية ، ص44

(3) ينظر : عبد الله صولة : الحجاج أطره ومنطلقاته ، ص 301

(4) - ينظر : المرجع السابق ، ص 55 - 56

- العملية الحجاجية عملية تنطلق من أطروحة وتتجه إلى الإقناع.

هذه مجمل المفاهيم التي قدمها كل من بيرلمان وزميله تيتكا في دراستهما للحجاج .

2 - الحجاج عند" ديـــــــكـــــــرو ":

تعتبر النظرية الحجاجية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي " أزفالد ديكرو " نظريـــة أساسية تهتم بالوسائل اللغوية التي يستخدمها المتكلم بصدد توجيه خطابه وجهة ما .

لقد تحدث عن الحجاج في مؤلفـــه المشـــترك مـــع " anscombre " " أنســكومبر " المعنون ب " l'argumentation de la la langue " " الحجاج في اللغة " ليقــرا بــأن الحجاج متجذر في اللغة أي أنه لا يمكن فصل اللغة عن الحجـــاج والعكـــس صـــحيح إذ يقولان في هذا الصدد : " إن الحجاج يكون بتقديم المتكلم قـــولا ق1 (أو مجموعـــة مـــن الأقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر ق 2 (أو مجموعة من الأقوال)"[1].

حيث ق1 يمثل الحجة التي ينبغي أن تؤدي إلى ق2 ويكون ق2 قولا صريحا أوضمنيا.

ومن الأمثلة التي يضربانها الباحثان على هذا الرأي : " إن في قولنـــا لنخـــرج إلـــى النزهة بما أن الطقس جميل أو في قولنا : الطقس جميل فلنخرج للنزهة ، يكون ق1 هو : الطقس جميل ، وق2 هو : فلنخرج للنزهة "[2]

ويضيفان : " على أنه بالإمكان أن يكون ق2 وهو النتيجة ضمنيا لكن بشرط أن يكون التوصل إلى هذه النتيجة سهلا يسيرا . والمثال على ذلك هذا الحوار :

هل ترغب في مرافقتي لنشاهد هذا الشريط السينمائي ؟

لقد شاهدته

حيث يكون الجواب ب " لقد شاهدته " دليلا موصلا إلى الجواب الضمني ب " لا " "[3]

من هنا يكون الخطاب المبني على تتابع ق1 و ق2 تتابعا صريحا أو ضمنيا .

---

(1) - عبد الله صولة : الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص33

(2) المرجع نفسه ، ص 34

(3) - المرجع نفسه ، ص نفسها

لقد ركز " ديكرو " في بنائه للعملية الحجاجية على نموذج خاص به ، الــذي ســاهم بقسط كبير في بلورة العملية الحجاجية ، ومن هاهنا يمكن أن نطرح السؤال التالي : مــا هي النماذج والمنطلقات الأساسية التي اعتمدها " ديكرو " في نظريته ؟

تنطلق نظرية " ديكرو " من ثلاث مبادئ رئيسة :

الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج.

المكون الحجاجي في المعنى أساسي والمكون الإخباري ثانوي .

عدم الفصل بين الدلاليات والتداوليات.[1]

كما بين أيضا أن الظواهر الحجاجية اللغوية تدعو إلى دراسة الحجاج على مستويين :

مستوى خارجي حيث يشكل النص في كليته حجة.

مستوى داخلي يمثل الحجاج في المعجم والروابط الحجاجية والأفعال اللغوية.[2]

من هنا نستنتج أن " ديكرو " لا يهدف إلى إخبار المتلقي ولا يقصد تقديم المعلومات بل يسعى للتأثير في المتلقي ودفعه لاتخاذ موقف ما من القضية التي تشكل موضوع النص ، فالتأثير والإقناع يجب أن يفهم من خلال المنظور الجديد التي تعتبر اللغة هي الأساس في بناء العملية الحجاجية.

كما ركز " ديكرو " و " أنسكومبر " في كتابهما السالف الذكر على التداوليات المدمجة ، التي كانت تقوم على تصور خطي لعلاقة التركيب والدلالة والتداول ، هذا التصور الــذي كان يعتمد في دراسة اللغة ، كما يفيد أيضا " ديكرو " بجانب مهم وهو السلم الحجــاجي ، بعدما لاحظ أن الأقوال الحجاجية ليست على درجة واحدة من القوة ، بل تتفاوت في قوتها الحجاجية ، وسوف نتطرق إلى كل من التداوليات المدمجة والسلم الحجاجي بالتدقيق فــي الفصل الموالي نظرا لأهميتها.

---

(1) - ينظر : خلية البحث التربوي : الحجاج في درس الفلسفة ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط1 ، 2006 ، ص 53

(2) – ينظر : المرجع نفسه ، ص نفسها

3 – الحجاج عند ميشال مايير " michelle mayer" :

فقد عرف الحجاج بقوله : " الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"[1]، إذن فالحجاج عنده يقوم على الصريح والضمني.

فالحجاج الضمني حسبه هو الذي يوجد في معنى الجملة الحرفي شارة حجاجية تؤدي إلى ظهوره وفق ما يمليه المقام وتلوح بنتيجة ما تكون مقنعة أو غير مقنعة.[2]

ولكن أهم ما رصده في العملية الحجاجية هو ربطه نظرية الحجاج بنظرية المساءلة،فالحجة عنده هي عبارة عن جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمنيا من ذلك الجواب ، أو يمكن أن نقول أن الحجة هي عبارة عن جواب لسؤال ضمني يستخرج من الجواب نفسه.[3]

فالسؤال عنده هو عبارة عن مشكلة تتطلب إجابة ، تكون هذه المشكلة موجودة فيها ، فالمتلقي في هذه الحالة يعتبر هو الذي يطرح الأسئلة من خلال الجواب المصرح به وهو الحجة ولكن بمساعدة معطيات مقامية.[4]

ويمكن أن نمثله كالتالي :

حجاج صريح ⟵ الحجة (وهو جواب مصرح به)

حجاج ضمني ⟵ سؤال (يكتشفه المتلقي بمعطيات مقامية)

وفي الأخير نخلص إلى أن الخطاب الحجاجي عند " ميشال مايير " هو عبارة عن إثارة الأسئلة والتي تكون بموجبها هذه الثنائية (سؤال ، جواب).

---

(1) – عبد الله صولة : الحجاج في القران الكريم ، ص 37

(2) - – ينظر : المرجع نفسه ، ص نفسها

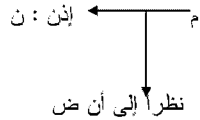
(3) - يتظر المرجع نسه ص 38

(4) – ينظر المرجع نفسه ، 39

4- الحجاج عند تولمين "Toulmhne" :

بوسعنا أن نقوم باستخلاص وإيضاح مفهوم الحجاج عن " تولمين " من خلال الرسومات المختلفة التي صاغها في كتابه الشهير " The uses argument " أي استعمالات الحجة ، وهي رسومات بيانية على ثلاث مراحل والذي ترجمها عبد الله صولة على هذا النحو [1] : (عبد الله صولة في الرسومات قدم زيد تونسي)

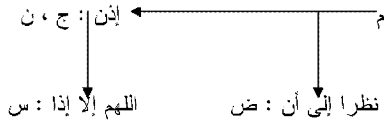
الرسم الأول : ونجد فيه رسما حجاجيا ذا ثلاثة أركان أساسية وهي : المعطى (م) ، والنتيجة (ن) والضمان (ض) والذي يكون ضمنيا :



مثال : م (زيد جزائري) ← إذن : ن (هو ليس شيعيا)

نظرا إلى أن : ض (أغلبية الجزائريين ليسوا شيعة)

الرسم الثاني : وهو حجاج أدق من السابق بإضافة عنصران هما عنصر الموجه ونصطلح عليه ب (ج) وعنصر الاستثناء ونصطلح عليه ب (س) الذي يحمل شروط رفض القضية فيصبح كالتالي :

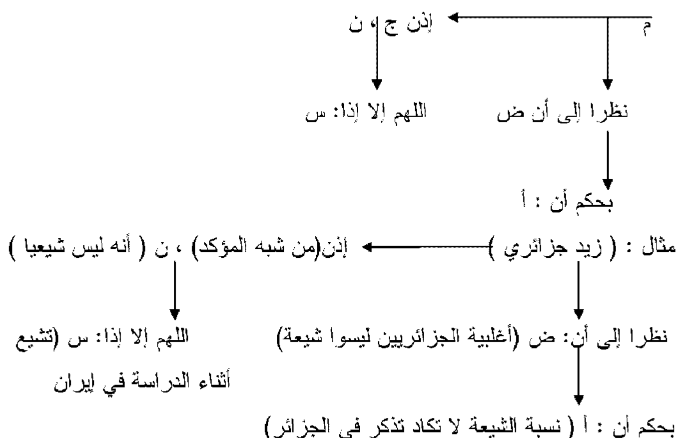


مثال : م (زيد جزائري) ← إذن ج (من شبه المؤكد)،ن (أنه ليس شيعيا)

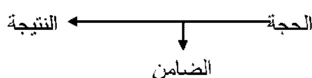
[1] - ينظر عبد الله صولة : الحجاج في القرآن الكريم ، ص 23 - 25

نظرا إلى أن:ض (أغلبية الجزائريين ليسو شيعة) اللهم إلا إذا:س (تشيع أثناء دراسته في إيران)

الرسم الثالث : وفيه تدقيق أكثر من الرسمين السابقين بإدخال عنصر الأساس (أ) الذي يبنى عليه الضمان (ض) فيكون الرسم كالتالي :



إذن فالبنية الحجاجية عند " تولمين " تقوم على ثلاث عناصر رئيسة : المعطى ونستطيع أن نسميه الحجة وكذلك النتيجة والضامن ويمكن أن نمثلها بهذا الشكل :



ويعد نموذج " تولمين " الحجاجي من بين النماذج التي تقوم عليها النظرية الحجاجية

- المسار التاريخي للحجاج عند العرب حديثا :

تعتبر الآفاق والمشاريع الحجاجية العربية الحديثة آفاقا معتبرة ، فقد جاءت مسطرة في دراسات وأبحاث وكتب وترجمات ومقالات... متفرقة بين باحث وآخر ، فهم لم يطلعونا على آراء مغايرة للآراء الغربية ربما إلا في بعض التطبيقات والتي تختلف باختلاف النصوص ، وسوف نحاول أن نقتصر على بعض الباحثين العرب وماذا أضافوه للنظرية الحجاجية.

* يعد الدكتور " أبو بكر العزاوي " من أصحاب المشاريع الجديدة للدراسات اللغوية والحجاجية خصوصا ، بحكم انفتاحه على النظريات الغربية.

ونجد من أهم مشاريعه الحجاجية مجموعة من الكتب والمقالات ، ومن بين أهم كتبه اللغة والحجاج ، والخطاب والحجاج والحوار والحجاج والاختلاف... ، وفيما يخص كتابه " اللغة والحجاج " فقد حاول الإحاطة بتحديدات أساسية لنظرية الحجاج اللغوية.

ويرى أن نظرية الحجاج ليست مقرونة بالبدايات الكلاسيكية للبلاغة الأرسطية ، فأساس هذه النظرية حسبه تنطلق من أقطاب مدرسة " أكسفورد " ونعني كل من " أوستين" و " سيرل " اللذين قاما بتقديم أبحاث حول مفهوم الأفعال اللغوية، وقد قام ديكرو بتطويرها. كما اعتبر أن المراد من مفهوم الحجاج هو ما أسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب.[1]

وأثار أيضا في مبحث من مباحثه نظرية السلم الحجاجي ، الذي يمكننا من تحديد قيمة القول الحجاجية ، ثم انتقل إلى إثارة موضوع الروابط والعوامل الحجاجية ومدى تعلقها بالمبادئ الحجاجية وأعطى أمثلة بروابط وعوامل حجاجية من اللغة العربية.

كما أفرد جانبا للحديث عن الاستعارة والحجاج ، وقد هدف إلى مقاربة الاستعارة من منظور الحجاج.

* أما " طه عبد الرحمان " فلقد تميزت نظرته للحجاج بطابع فلسفي لأنه يستند إلى المنطق فقد زاوج بين القديم العربي والحديث الغربي.

(1) - ينظر أبو بكر العزاوي : الحجاج واللغة ، العمدة في الطبع ، ط1 ، 2006 ، ص 14 - 15

فنجده قد عقد بابا في كتابه " اللسان والميزان " سماه " الخطاب والحجاج " ، فهو يرى : " أن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية ، بناء على أنه لا خطــاب بغيــر حجاج"[1]

كما عرف الحجاج انطلاقا من مبدأين أساسيين هما " قصـــد الادعــاء " و " قصــد الاعتراض " ، إذ يقول : " إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلـــى الغيــر لإفهامـــه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها "[2]

كما استعرض أيضا أنواع الحجج وأصناف الحجاج وركز علــى الســلم الحجــاجي بوصفه عمدة في الحجاج ، كما درس الاستعارة من وجهة نظر حجاجية مؤصلا لها كمـــا وردت عند عبد القاهر الجرجاني

ولقد أورد كذلك في كتابه " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" خاصــية أخــرى للحجاج وهي الحوارية ، وقد جعلها في مراتب ثلاث (الحوار ، المحاورة ، التحــاور) ، كما عالج أيضا المنهج الكلامي في ممارسة المتكلمين للحوار ...[3]

*أما " محمد العمري " فقد نظر للحجاج بطابع إقناعي ، وهذا تأثرا بالفلاسفة اليونـــانيين ونجده واضح في كتابه " في بلاغة الخطاب الإقناعي " ، إذ يقول : " لقد حمل أفلاطـــون في محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة "[4]

كما اعتمد أيضا على الدعائم الأرسطية لبلاغة الخطاب والذي يربطها أيضا بالإقناع فيقول : " وبدأ الحنين من جديد إلى " ريطورية " أرسطو التي تتوسل إلى الإقناع في كـــل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال "[5]

فبلاغة الخطابة أصبح لها دورا فعالا ومهما في التأثير في أحوال الناس

---

(1) – طه عبد الرحمان : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1998 ، ص 213

(2) – المرجع نفسه ، ص 226

(3) – ينظر طه عبد الرحمان : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، 2000 ، ص 31– 32

(4) – محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1986 ، ص 9

(5) – ينظر المرجع نفسه ، ص 10

وقد ركز على المقام خصوصا في الخطابة السياسية وهي محاورة بين الأنداد ويكثر فيها النصح والمشاورات... والخطابة الاجتماعية وتكون فيها خطب في موضوعات اجتماعية تتناول العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع ،وخطب ذات طبيعة وجدانية هدفها المشاركة في المسرات والأحزان ... وتعتمد على الحجج المقنعة والأسلوب الجميل والمؤثر.[1]

[1] - ينظر : محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص 59

الفصل الأول

* الحجاج مقاربة نظرية

سوف نحاول في هذا الفصل أن نتناول المقاربة النظرية للحجاج ونعـــرج علـــى أهـــم المفاهيم الأساسية لهذا المصطلح ، وأهم الدوائر والحقول التي تضمه.

1 – مفهوم الحجاج:

نجد ابن منظور قد أشار إليه في لسان العرب فقال :

" الحجة هي البرهان ، وقيل الحجة هي ما دوفع به الخصم ، وقال الأزهري الحجـــة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ، وحاجّه محاجّة وحجاجا نازعه الحجة وهـــو رجل محجاج أي جدل ، والتحاج : التخاصم ، وجمع الحجة : حجج وحجـــاج ، وحجّـــه يحجّه حجّا غلبه حجته وفي الحديث ، فحجّ آدم موسى أي غلبه بالحجة"[1]

وقال الجرجاني : " الحجة ما دل به على صحة الدعوى ، وقيـــل الحجـــة والـــدليل واحد"[2]

فأساس الحجاج هاهنا هو التركيز على دليل لإثبات قضية معينة ، أو بناء موقـــف مـــن المواقف المعينة.

وفي اللغة الفرنسية لفظة " argument تشير إلى عدة معان متقاربة أبرزها حســـب قاموس روبير" le robert" :

– القيام باستعمال الحجج وكذلك هو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة وهو كذلك فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة .

ونجد argument تشير إلى الدفاع عن اعتراض بواسطة حجج.[3]

وجاء في قاموس " كامبردج " " Cambrige " أن " الحجاج هو الحجة التي تعلـــل أو تبرر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما "[4]

---

(1) – ابن منظور : لسان العرب ،مادة (حجج) ، دار صادر بيروت ،مج 2 ، ط1 ،1997 ، ص28

(2) – الشريف بن علي الجرجاني : التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الريان للتراث ، دط ، د ت ، ص 482

(3) Le grand Robert , Dictionnaire de la langue français , 1er rédaction , paris , 1989 , p 535

(4) – Cambrige Advenced Learners : dictionary , Cambrdge University Press , 2nd pub , 2004 , p 56

ومن خلال هذه التحديدات المعجمية لمصطلح الحجاج ، نجد دلالته اختلفت فقد جاء للجدل ، أو الدفاع عن اعترض ...

أما مفهومه الاصطلاحي فقد أشرنا إلى معظمه في المسار التاريخي للحجاج ، ولابأس أن نضيف بعض التعريفات الأخرى التي تهم هذا البحث.

نجده يختلف من دائرة إلى أخرى، فهناك مفاهيم فلسفية ، ومفاهيم منطقية وأخرى قانونية ، إلى جانب المفاهيم البلاغية والتداولية ... ، وهذا ما جعل دلالات الحجاج تتشعب وتختلف من دراسة إلى أخرى. ويعود ذلك إلى عدة عوامل وهي [1] :

- تعدد مظاهر الحجاج وتنوعها (الحجاج الصريح ، الحجاج الضمني .)
- تعدد استعمالات الحجاج وتباين مرجعياتها : الخطابة ، الخطاب ، القضاء ، الفلسفة ، المنطق ، التعليم....
- خضوع الحجاج في دلالته لما يميز ألفاظ اللغة الطبيعية من ليونة تداولية وكذلك من تأويلات متجددة وطواعية استعمالية

كما أن للحجاج أبعاد الخطاب الإنساني المتاح باللغة المكتوبة و المنطوقة.

ومن أهم التعريفات المنطقية للحجاج ما ورد عند " Andersen" "أندرسين " و" دوفر" " Dover" بأنه : " طريقة لاستخدام التحليل العقلي والدعاوي المنطقية ، وغرضها حل المنازعات والصراعات واتخاذ قرارات محكمة والتأثير في وجهات النظر والسلوك "[2]

فالحجاج هاهنا يستخدم فيه المنطق للتأثير في الآخرين.

و يعتبر أيضا (الحجاج) مجالا من مجالات التداولية ، إذ يرتبط مفهومه بالأفعال اللغوية وفي هذا المجال يعرفه(Maas) " ماس " بكونه :" سياق من الفعل اللغوي تعرض فيه فرضيات (أو مقدمات) وادعاءات مختلف في شأنها ، هذه الفرضيات المقدمة في

---

(1) – حبيب أعراب : الحجاج والاستدلال الحجاجي ، مجلة عالم الفكر ، العدد 1 ، المجلد 30 ، سبتمبر 2001 ، ص 97- 98

(2) Andersen jerry . Dovre poul : Reading in Argumentation ، نقلا عن : محمد العبد : النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة فصول ، ع 60 ، صيف 2002 ، ص 43

الموقف الحجاجي هي مشكل الفعل اللغوي."[1]

و الحجاج عند " شيفرين " "Schiffrin" هو : " جنس من الخطاب ، تبنى فيه جهود الأفراد دعامة مواقفهم الخاصة ، في الوقت نفسه ، الذي ينقضون فيه دعامة موقف خصومهم "[2].

كما يتحد مفهومه أيضا بأنه : " خطاب إقناعي أي ان هدفه التأثير في المتلقي إما لتدعيم موقفه وإما لتغيير رأيه فتبنّي موقف جديد ، سواء كان هذا الموقف يقتصر على الاقتناع الذاتي أو يقتضي فعلا ما "[3]

من خلال هذه التعريفات نخلص إلى أن الحجاج جنس خاص من الخطاب ، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بتبريرات وتعليلات ، عبر سلسلة من الأقوال.

ويمكننا أن نستنتج من خلال هذه التعريفات التي أشرنا إليها لاسيما التي أوردناها أثناء حديثنا عن المسار التاريخي للحجاج عند الغرب والعرب الخلاصات التالية :

- الحجاج يهدف إلى تأسيس موقف معين ومن هنا فهو يتجه إلى متلقي.
- الحجاج يعتمد على تقديم عدد كبير من الحجج المختارة اختيارا جيدا لتترك أثرها في المتلقي ، وهذه الخاصية تجعله يتميز عن البرهنة.
- الحجاج يتعلق بالخطاب الطبيعي.
- الحجاج يهدف إلى جعل العقول التي يتوجه إليها تنخرط في الأطروحة.
- مجال الحجاج هو الاحتمال وليس اليقين.
- الحجاج يعتمد على مجموعة من الحجج تؤدي إلى نتيجة.

---

(1) – محمد العبد : النص الحجاجي العربي ، ص 44

(2) المرجع نفسه ، ص 44

(3) – كورنيلا فون راد – صكوحي : الحجاج في المقام المدرسي ، منشورات كلية الأداب منوبة ، 2003 ، ص 13

2 - ضوابط النص الحجاجي وخصائصه:

هناك العديد من الضوابط والخصائص التي تميز النص الحجاجي عن غيره من النصوص الأخرى نذكر منها [1] :

- أن يكون الحجاج ضمن إطار ثوابت مثل الثوابت الدينية والعرفية ، فليس كل شيء قابل للحجاج.

- أن تكون دلالة الألفاظ محددة والمرجع الذي يحيل إليه محددا بيد أن تفاوت التأويل يكسب الخطاب ثراء وغنى ، ولكن لا يكسبه دقة ونهاية .

- ألا يقع المرسل في التناقض في قوله أو فعله ويجب أن يكون الحجاج موافقا لما يقبله العقل ، وإلا بدا زيف الخطاب ووهن الحجة .

- أن يكون الحجاج جامعا مشتركا بين المتحاجين لكي يحصل توافق بينهما في إمكانية قبول الحجج أو رفضها.

- ضرورة خلو الحجاج من الإيهام والمغالطة والابتعاد عنها .

- امتلاك المرسل لثقافة واسعة (بقدر ما أملك من ثقافة بقدر ما أملك من حجج)

هذه أهم ضوابط النص الحجاجي ، فلولاها لأصبح النص الحجاجي مزيفا وخارجا عن مقاييسه الرئيسة.

يقول" جيل دكلارك" : " إن الحجاج وهو يتخذ من العلاقات الإنسانية والاجتماعية حقلا له، يبرز كأداة لغوية وفكرية تسمح باتخاذ قرار في ميدان يسوده النزاع وتطغى عليه المجادلة."[2]

انطلاقا من هذا القول : يمكن إبراز أهم خصائص النص الحجاجي :

---

[1] - عبد الهدي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص 266 - 267

[2] - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 1 ، 2007 ، ص 24

يمكن اعتبار النص الحجاجي نصا برهانيا فإذا كان قصده معلنا واستدلاله واضحا وأفكاره مترابطة فلأنه يحرص على الإقناع ، إقناع المتلقي.

وقد جمع" بنوا روتو سمات" النص الحجاجي في النقاط التالية [1] :

– القصد المعلن : إحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة ، وهو ما يعبر عنه بالطريقة الايحائية .

– التناغم : يوظف التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفتنة أو الانفعال ، وتكون له معرفة لنفسية المتلقي وقدراته ويتجلى أيضا في نصه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام .

– الاستدلال : وهو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي ، فالنص الحجاجي قائم على البرهنة وإذا أعدنا الحجاج إلى أبسط صوره وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية .

– البرهنة : إليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال.

3 – طبيعة الخطاب الحجاجي :

من المؤكد أنه ليس كل خطاب بالضرورة يكون خطابا حجاجيا ، فقد تكون نهاية خطاب ما ذاتية دون أن تهدف إلى إقناع أو تأثير على المتلقي وبالتالي فهدف الخطاب ليس بحجاج حتى وإن كانت هناك تعابير حجاجية تأتي بشكل عرضي ، لا يكون هدفها حجة أو الاستدلال على موقف أو الدفاع عن أطروحة أو حمل الأخر على الانخراط في عمل ما وهذا ما يؤكده" بلانتين" في قوله :" من الشرع الاعتقاد أن الخطاب يكون لغاية حجاجية فقط ، فهناك الكثير من الأقوال نستعملها في شكل عمليات غير حجاجية ."[2]

أما طه عبد الرحمان فيميز بين الخطاب الحجاجي وباقي الخطابات الأخرى" بكونه خطابا مبنيا وموجها وهادفا ، مبنيا بناء استدلاليا يتم فيه اللجوء إلى الحجة والاستدلال

---

(1) – سامية الدريدي : الحجاج في الشعر ، ص 26 – 27

(2) – عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط1، 2006 ، ص 128

والمنطق والعقل وموجها مسبقا بظروف تداولية تدعو إليها إكراهات قولية أو اجتماعية أو ثقافية أو علمية أو عملية أو سياسية تتطلب الدفاع عن الرأي والانتصار لفكرة ، وتتطلب

نقاشا حجاجيا يلامس الحياة الاجتماعية أو المؤسساتية لهدف تعديل فكرة أو نقل أطروحة أو جلب اعتقاد أو دفع انتقاد"[1]

ومن الملاحظ أن خصوصية الخطاب الحجاجي تكمن في كونه يخضع لمراقبة كالمراقبة الاجتماعية ، ويندرج ضمنها الإطار الاجتماعي بشتى أشكاله الاعتقادية والأيديولوجية ومحطة المراقبة العقلية .

ومن هنا وحتى يتسنى لنا التفريق بين الخطاب الحجاجي وباقي الخطابات الأخرى ، يجدر بنا أن نذكر طبيعته التي تميزه عن باقي الخطابات الأخرى وتتمثل فيمايلي:

أ – البناء والدينامية :

لا يوجد حجاج جاهز أو معطى من البداية بل هو عملية يتم بناؤها تدريجيا وتتطلب تكيفا مستديما إلى عناصرها لنهاية إتمام الحجاج سواء على شكل خطاب أو عرض خطبة أو جدال ، وعملية الحجاج تنطلق من أسس وقواعد ترتبط بميدان اللغة وعلاقتها بالإنسان والعالم عبر التقنيات التي تبلور تلك الأفكار وتلك العلاقات المتعلقة بمنطق الحياة بمختلف مجالاتها وقطاعاتها أو بمنطق اللغة أو بمنطق العقل ، وهذا ما جعل فاعلية الخطاب الحجاجي تأتي من طريقة بنائه وتفاعل عناصره ودينامية مكوناته ، فالاقتصاد في الأدلة الحجاجية يكون له دور مهم في عملية الإقناع وهذا ما أشار إليه "سيموني" في دراسة أجراها في الذهن البشري حيث يقول في هذا الصدد :"لا يقوى على معالجة سوى عدد محدود من عناصر القول فالسامع لا يستطيع الحصول إلا على 10 % مما يسمع ."[2]

ولهذا ينبغي التركيز على الأهم والأساس في الحجج ، فيجب على المتكلم عند الإجابة البحث عن الأسباب الدقيقة التي تبرره وتفسر أسسه ومتطلباته واستعمال الحجج الملائمة

---

(1) – طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 226

(2) – عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير ، ص 129

والمؤثرة ، فالعلاقة بين الحاجة إلى الحجاج والحجاج ضرورية وهذا هو الطريق الأنسب إلى الإقناع.

ب – التفاعل :

ينبني الحجاج على مبدأين أساسيين هما : مبدأ الادعاء ومبدأ الاعتراض ، هذان المبدآن يؤديان إلى اختلاف في الرأي ويدفعان للدخول في ممارسة الدفاع أو الاختصار للدعوى وهو ما يؤدي حسب طه عبد الرحمان إلى تحقيق نوع من التزاوج ، حيث يقول : " والمقصود بتزاوج المتكلم هو الانشقاق الاعتباري لذات المتكلم إلى شقين أو أقل ، أو بالأحرى إلى ذاتين إحداهما ظاهرة تستقل بمبادرة الادعاء... والذات الثانية باطنة تشترك مع ذات المستمع في ممارسة الاعتراض ، لأن المتكلم قد يتعاطى – ولو ذهبنا على الأقل– تصور مواطن النقد في الدعوة وتقدير مختلف الأسئلة"[1]

وقد نشأ عن هذا التزاوج بين المتكلم والمخاطب ازدواج في مختلف أركان العملية الحجاجية وهي حسب طه عبد الرحمان [2] :

- ازدواج في القصد : أي حصول الوعي للقصدين عند كل منهما .
- ازدواج التكلم : كما لو كان المستمع هو الذي يتكلم ، أو كما كان المتكلم بمحل لسان المستمع.
- ازدواج الاستماع : كما لو كان المستمع بمحل المتكلم في تسمعه.
- ازدواج السياق : يحتوي سياق إنشاء القول على نصيب من سياق التأويل نصيبا من سياق الإنشاء.

---

(1) – طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 265
(2) – المرجع نفسه ، ص نفسها

فالتفاعل إذن هو تزاوج يحدث بين الملقي والمتلقي وهكذا تكمن أهميته بأن يكون تفاعل مباشر بين المتكلم والمستمع في ضرورة الالتزام بطبيعة الأرضية المشتركة بينهما وهي أرضية تضم كل الإمكانات الخطابية الخاصة لمقام ما.

ج – الالتباس أو اللبس :إذا كانت اللغة الطبيعية أصلا لكل غموض دلالي ومجالا لكل انزياح لساني فإن الأمر سيكونه معقدا وعسير الفهم في العملية الحجاجية ، أو أن الحجاج

عمق الالتباس وهذا ما يجعل المجال مفتوحا أمام مهارات المتكلم في فن القول ، ولإظهار كفاءته الإبداعية لكي يصل بسهولة إلى إفهام السامع وتقريبه من طروحاته حتى يتسرب إلى ذهنه وعواطفه بغية إقناعه والتأثر فيه ، ويتأتى الالتباس في المجاز الذي هو: " الاستدلال بعبارة على إشارتها ويكون جامعا بين معنيين متقابلين هما العبارة والإشارة"[1]

لا تتم هذه العلاقة فقط في الصور البلاغية بل في العلاقات الرمزية التي تدخل فيها كل الدلائل والرموز اللسانية وغير اللسانية ، وهذا ما يجعل الحجاج يحرك آليات الفهم والتأويل لدى المخاطب.

فالحجاج هاهنا يكون فيه نوع من الغموض والغير مباشرة أي يكون فيه لبس بالنسبة للمتلقي ، حتى يجعل المتلقي يقوم بتأويل كل قول يطرح له.

د – التـأويـل :

وهي عملية تقيم القول الحجاجي تقييما سلبيا أو ايجابيا على مستويين مستوى أول عن طريق استقبال القول كعلامة لغوية تحول فيها الرسالة من السنن إلى الخطاب ، وفي مستوى آخر تتم عن طريق تعالق عنصري الفهم والتأويل ، فهم أولي بمعنى القول ثم فهم آخر لتأويل لمعنى معنى القول ، وهنا تدخل مجموعة من العوامل الخارجية لتحديد البعد التأويلي لأن طبيعة الحجاج لا تقوم على وصف ظاهري للقول مثل : (زيد ذكي) لكنها تقوم على التدليل على بعض النتائج التي تكون نتاجا ، يقول" موشلير " في هذا الصدد : "

---

(1) – طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 232

إن المتكلم لا يقدم قوله كما لو كان وصفا عاديا لكنه بالأحرى يقدم تقييما (إيجابيا أو سلبيا) ، وهو مقتضى وصف القول بالفعل الحجاجي"[2]

وتشير كل نظريات تحليل الخطاب في هذا الإطار إلى غياب درجة الصفر في القول ، وإلى غياب استقلال الذات في الخطاب ، لأن الخطاب لا يستعمل إلا في إطار سياق ومقام معين ، وفي هذا تؤكد النظرية التأويلية (إيكو) على اعتماد السياق في تأويل

الخطاب لأن المعاني التي ينتجها الخطاب هي عبارة عن معان ضمنية تنتج الإيحاءات التي يفرزها السياق اللساني (تركيب ، بلاغة ، تضمين) وتكتشف منها العملية التأويلية.[1]

أما التداولية فتضيف المقام الذي هو سياق غير لساني إلى السياق اللساني لتعزيز هذه التضمينات.

ه- الاعتقاد :

إن أهم الأهداف والجوانب الأساسية في العملية التخاطبية هي استهداف اعتقادات الإنسان وهو ما يشكل رهانا صعبا في كل حجاج ، فاعتقادات الإنسان لا تمثل عناصر مادية ملموسة وتخلو من استدلال ذي بعد علمي برهاني فهي ترتبط ببعض القيم الإنسانية كالنبل والتضحية ... فالمعتقدات بصفة عامة هي ملتقى الأخلاق المقبولة لأنها لا تخضع للتحليل العلمي ، فهي تقوم على أنساق فكرية وعلل تمزج فيها الأقوال بالأفعال والمبادئ بالمسلمات والأقوال السياقية ... كلها تتفاعل لتؤسس أعمال القيمة.[2]

غير أن هذه الاعتقادات الجماعية لا تفرض نفسها فرضا ، بل يكون لها معنى بالنسبة لكل فاعل ، وهذا المعنى ينشأ من نتائج وحصيلة لعمليات تواصلية اقناعية يلعب فيها الحجاج دورا مركزيا .

و - الانتهاض إلى العمل :

---

(2) - عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير ، ص 132

(1) ينظر : عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير ، ص 133

(2) - ينظر المرجع نفسه ، ص نفسها

تتمثل في تأثير القول الحجاجي الذي غالبا ما يدفع إلى رد فعل معين قد يكون عملا أو كف عن عمل أو عدولا عنه أو تحويلا لمساره وهذا العمل هــو الــذي يــدل ويؤكــد بالملموس على حصول تأثير و إقناع بالحجة المقدمة ، هذا الاقتناع لدى المستمع لا يكون إلا بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه ، باعتبار المطابقة دليلا وحجة تنسحب على

المتكلم وتزكي موقفه هذه الخاصية أطلق عليها طه عبد الرحمان " مبدأ الانتهاض إلــى العمل " وهو مبدأ محوري في ظل الجوانب التواصلية والخطابية ، ويعرفها بقوله : " هي الدليل الذي يجب اعتماده للعمل به بعد أن يكون الاعتقاد قد حصل "[1]

بعد أن أفضينا من عرض بعض مفاهيم وخصائص الخطاب الحجاجي ، يجدر بنا أن نقوم بعرض الحجاج من مجالات مختلفة (بلاغية ، لغوية ...).

[1] – طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 237

4 – مجالات الخطاب الحجاجي :

تتعدد مجالات الخطاب الحجاجي بتعدد واختلاف التصورات والخلفيات المعرفية الصادرة عنها ومنها :

1.4 – المجال البلاغي :

هناك من يعتقد أن البلاغة لم يعد يفهم منها سوى وظيفتها في تنميق الخطاب وزخرفته وجماليته ولا علاقة لها بالإقناع يقول محمد الولي : " وفي هذه الحالة مادامت نواة البلاغة الحجاجية قد ألحقت بالمنطق فقد اختزلت البلاغة العامة في صيغتها الأرسطية ... إلى بلاغة محسنات وزخارف "[1]

فالبلاغة من هذا المنظور أصبحت بلاغة محسنات وزخارف واستعارات جمالية.

فالبلاغة على عكس ذلك فهي ذات صلة وثقى بالحجاج ، فهي وسيلة للإقناع ، كما أنها تبحث في استعمال الخطاب من أجل أن يكون مقنعا.

كما أن علاقة الحجاج بالبلاغة إشكال مثير ومعقد منذ القدم ، فقد اهتم به القدامى قبل المحدثين ، ونعني بالقدماء فلاسفة اليونان وبالتحديد أرسطو والبلاغيين العرب.

1.1.4 – الحجاج البلاغي من منظور قديم :

نجد الريطورية* الأرسطية قد خصصها أرسطو لمجال الإقناع وآلياته حيث تشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة (المشاورة ، المشاجرة والمفاضلة) ، فخطابة

---

[1] محمد الولي : من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات ، مجلة فكر ونقد ، عدد 8 ؛ 1998 ، ص 137

* وهي ترجمة لكلمة rhetiric الغربية وتعني بلاغة ، أما ترجمة الريطورية الأرسطية فتعني خطابة أو خطابية

أرسطو قد تضمنت عناصر حجاجية وأسلوبية كما أن أجناسها الثلاثة قابلة لاحتواء أصناف من الخطاب الاحتمالي المؤثر.

ويمكن أن نعتبر أن خطابة أرسطو هي البلاغة العامة بالمفهوم الجديد ، الذي أصبحت مجالا خصبا للبحث في الدراسات البلاغية الحديثة.

كما نجد أن المنطلقات والمصادر ومسارات البحث قد تعددت في الدرس البلاغي العربي قديمه وحديثه ، وهذا ما أدى بشكل تلقائي إلى اختلاف الرؤى والتصورات ، كذلك نجد أن البلاغة العربية أصبحت مستجابة لكل المقاربات الحديثة.

إن المتتبع للدرس البلاغي العربي يجد أن الحجاج جاء على عدة صيغ كالبيان والمقام...

جاء في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ أن البيان هو : " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير حتى يقضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[1].

وقد استخلص " محمد العمري " في كتابه " البلاغة العربية أصولها وامتداداتها " ،بأن البيان عند الجاحظ اهتم بالفهم والإفهام ، فيقول : " مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي : أي أنه العملية الموصلة إلى الفهم والإفهام في حالة اشتغالها ...فالشيء المركزي الثابت في كتاب البيان والتبيين هما الفهم والإفهام بالوسائل المختلفة : الوسائل

---

(1) – الجاحظ : البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 76

اللغوية والإشارية خاصة "[2]. وبذلك فمشروعه البياني يتلخص في نظريتين أساسيتين هما: نظرية المعرفة ونظرية الإقناع والتأثير.[3]

ومن ثم فالبيان عنده هو كل ما يهدف للتأثير والإقناع والاستمالة بما هو معرفي وإقناعي.

كما نستخلص أيضا أن كلمة " بلاغة " بالمعنى العربي وكلمة " خطابة " بالمعنى الإغريقي ، ظهرت عند الغرب والعرب في حقل واحد وهو الإقناع .

كما تحدث البلاغيون العرب أيضا عن المقام ومقتضى الحال ، إذ يقول أبو هلال العسكري في كتابه " الصناعتين " واعلم أن المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال ، فإذا كنت متكلما أو احتجت إلى عمل خطبة لبعض ما تصلح الخطب أو قصيدة لبعض ما يراد له القصيد فتخط ألفاظ المتكلمين مثل الجسم والعرض والكون والتأليف والجوهر فإن ذلك هجنة " [1].

نلاحظ هاهنا أن أبا هلال العسكري ربط المقام بتغير الغرض المنشود ، فباختلاف الغرض المنشود يختلف المقام ، فإذا كانت خطبة فغرضها كما أشرنا آنفا هو الإقناع و كان المقام في هذه الحالة خطابيا يتمثل في الخطيب والمخاطبين ، أما إذا كان المقام شعريا فغرضه يتمثل في الاستمالة والإثارة ، ولكن يجب أن يستعمل كل من الخطيب والشاعر وسيلة للتأثير وإقناع المتلقي ، فالمقام إذا يهتم بالمتلقي لكونه العنصر الأساسي الذي يتوجه إليه الخطاب أو الشعر...

---

[2] – محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، دط ، 1999 ، ص 191
[3] ينظر المرجع نفسه ، ص 194
[1] – أبو هلال العسكري : الصناعتين : ص 135

كما نجد فكرة المقام أيضا في قوله : " ... لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ، لأن ذلك جهل بالمقامات ، وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام ، وأحسن الذي قال لكل مقام مقال " [2].

فهنا ربط المقام بطبيعة الحال ، فهاهنا تختلف الصيغة من موضوع إلى موضوع ومن غرض إلى غرض آخر ، وذلك لإقناع المتلقي أن لكل مقامه ، فلا يجب أن نكلم الملك بكلام السوقي فهذا في مقام وهذا في مقام ، لذلك قال " أن لكل مقام مقال "

كما نجد فكرة المقام أيضا واردة عند السكاكي في مؤلفه " مفتاح العلوم " حيث يقول: " ولا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذم ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل،... ، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر ، ثم إذا شرعت في الكلام

فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول ، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به ، وهو الذي نسميه مقتضى الحال " [1].

نفهم من كلام " السكاكي " أن المقامات عنده مختلفة ، كما أن أشكال الاستعمال اللغوي في مختلف العلاقات الاتصالية تتنوع وتختلف بحسب مقتضيات هذا الاتصال ، فمقام المتكلم يختلف عن مقام السامع ، وكذلك نجد أن الكلمات مختلفة فكل كلمة قالها تختلف عن الأخرى ، وكذلك اختلاف مقام المتكلم ، أما أثناء حديثه عن مقام الكلام فكذلك يجب أن يتغير من واحد لآخر فمثلا الكلام مع الذكي يتطلب مقاما معينا ومع الغبي يتطلب مقاما آخر ، لذلك قال " فإذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ".

بناء على قضية المقام في الدرس البلاغي فإننا نجد له دور فعال في ممارسة الخطاب الاقناعي ، يتوقف على مبدأ لكل مقام مقال ، ويحاول الثاني تحديد المقصود

---

(2) – المرجع نفسه ، ص 24

(1) – أبو يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور،دار الكتب العلمية، لبنان ص 168

بمراعاة الألفاظ للأغراض والمقاصد كما يعلمنا أيضا كيف نتكلم ؟ ولمن نتكلم ؟ وكيف نقنع ؟ وكيف نتخذ القرار ، علما بأن الإقناع هو نشاط موجود في فضاءات مختلفة.

كما نجد أيضا أن أقطاب البلاغة العربية القديمة قد وجهوا البلاغة لغاية تأثيرية إقناعية لإقناع الجمهور والتأثير فيه ، لذلك نجد البلاغة عندهم " تهدف إلى أمرين الوضوح (الارتجال) والتأثير(النفع)" [2].

لذلك يتجلى الحجاج البلاغي عندهم بعناصر أساسية ، فنجد الجاحظ يعتبر الشاهد عنصرا من عناصر الحجاج ومفهومه مرادف للدليل والبرهان ، فالحجاج البلاغي القائم على الشواهد اعتبره الجاحظ دعامة لإرساء الحقائق وصرح العلم وعلى هذا أكد أن " مدار العلم على الشاهد والمثل" [3].

كما نجد أيضا أن الإيجاز هام جدا في العملية الحجاجية تفطن إليه القدامى لأنه يواجه النسيان وعدم الانتباه ، فهو وسيلة للتأثير في المتلقي لأن القصير الموجز أنفذ إلى الأسماع وأحسن موقعا في القلوب ، فنجد "ابن رشيق" يقول في كتابه " العمدة " :

" وقال بعض العلماء يحتاج الشاعر إلى القطع حاجته إلى الطوال بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثل والملح أحوج إليها منه إلى الطوال"[1].

بعد أن فحصنا بعض الرؤى الحجاجية البلاغية في الدرس القديم لاسيما عند أرسطو وأقطاب البلاغة العربية ، لا بأس أن نعرج على بعض الدراسات البلاغية الحجاجية من منظور حديث.

2.4- البلاغة الحجاجية من منظور حديث :

---

(2) – حبيب أعراب : الحجاج والاستدلال الحجاجي ، مجلة عالم الفكر ، ع 1 ، المجلد 30 ، سبتمبر 2001 ، ص 97 – 98

(3) – الجاحظ : البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 171

(1) – ابن رشيق : العمدة ، ج 1 ، نقلا عن سامية الدريدي : الحجاج في الشعر ، ص 123

تفيد عبارة " بلاغة " في الدرس الحديث معنى نسقيا يفيد الحجاج ، وهذا المعنى قد استرشد بدراسات معاصرة قليلة وخاصة دراسات " شايم بيرلمان " و " أوليفي روبول " و" محمد العمري" وغيرهم

ونجد " ايجلتون " قد أشار إلى البلاغة بكونها علما يشمل كل أنواع الخطاب لاسيما الحجاجي إذ يقول : " البلاغة التي كانت تمثل التحليل النقدي الذي تلقاه الناس بدءا من المجتمع القديم حتى القرن الثامن عشر ، كانت تفحص الطرق التي تبني الخطابات وفقا لها لكي تحدث آثارا بعينها ، ولم يكن ثمة اكتراث بما إذا كانت موضوعات دراستها كلاما أو كتابة ، شعرا أو فلسفة ، قصصا خياليا أو علما تاريخيا ، وقد كان أفقها الذي تتحرك فيه مماثلا لحقل الممارسات الخطابية في المجتمع على وجه الإجماع"[2]

فهذه البلاغة كما أشرنا هي شاملة لجميع الخطابات لاسيما المؤثرة منها ، هذه البلاغة هي نفسها التي انتهى إليها كل من " بيرلمان " و " تيتكا ". تتعلق البلاغة عند " بيرلمان " و " وتيتكا " بشروط أساسية كأن يحصل تفاعل بين الخطيب والجمهور أو بين المحاج والمحجوج ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور علي الشعبان في كتابه الحجاج بين المنوال والمثال : " الحجاج ليس استدلالا تعليليا يدور في حقل البرهان المنطقي المحض وخارج كل اندراج للذات بل يطلب أمرا آخرا معاكسا لذلك تماما وهو وجود العلاقة التفاعلية بين الباث والمتقبل"[1].

فمن هنا تفهم بلاغة " بيرلمان " على أنها تأثير متبادل بين الخطيب والجمهور شمل طبعا حقل الخطاب لغاية اقناعية.

كما تنزل أيضا البلاغة الجديدة عند " بيرلمان " على ضربين أساسيين : الضرب الأول تمثله البلاغة البرهانية ، حيث يقوم على البرهنة والاستدلال في المحاجة ، كما

---

[2] – حمو النقاري : التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه . عن محمد العمري : تداخل الحجاج والتخييل ، ص 9

[1] د . علي الشعبان : الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري) ، مسكيلياني للنشر والتوزيع ، تونس ، ط 1 ، 2008 ، ص 16

يشترط العقل كشرط أساسي ، كما أيضا يكون جمهوره ضيق غايته بيـان الحـق. أمـا الضرب الثاني فهو يهتم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمع بإذعان المتلقـي ، وغرضـه دغدغة العواطف والإثارة والأهواء، استنفارا للسامعين.[2]

و نجده قد استنبط كلامه عن البلاغة البرهانية من البلاغة الأرسطية القديمـة، كـون الخطاب البرهاني القديم اهتم بالإقناع والبرهان ، أما الضرب الثاني فهـو يهـتم بجميـع الأشكال البلاغية وعناصرها الأسلوبية التي تؤثر في المتلقي.

في حين أن هناك جنسين كبيرين تقوم عليهما البلاغة الجديدة عند الباحثين ،فالجنس الأول الوصل وهو شكل اتصالي ويشمل ثلاثة أنماط : الحجج شبه المنطقية ، والحجـج القائمة على بنية الواقع ، والحجج المبنينة للواقع ، والثاني يسمى الحجاج بالفصل.

الجنس الأول : الحجج شبه المنطقية والتي تسـتمد طاقتهـا الحجاجيـة لمشـابهتها لنطرائق المنطقية وهي غير ملزمة وعدم الإلزام هذا هو دعامة أشـكال البلاغـة ، أمـا الحجج المستندة على بنية الواقع فهي تقوم على ترابطات قابلة للملاحظة كالشاهد والمثـل والتمثيل والاستعارة والكناية ...، على غرار الحجج المبنينة للواقع والتي تقوم بالربط بين

وقائع متعايشة أو متتابعة في حدود ثلاث تلازمات : التلازم المكاني ، التلازم الزمـاني ، التلازم الرمزي.[1].

وسوف نحاول إعطاء أمثلة على هذه التلازمات

- التلازم المكاني : في هذا الحي ذباب كثير ، إذن هناك قمامات قريبة
- التلازم الزماني : هذا الشخص يعاني من مرض السيدا ، إذن سـبقت لـه معاشرة جنسية غير وقائية.
- التلازم الرمزي : هؤلاء المتظاهرون يحرقون العلم الإسرائيلي ، إذن هـم رافضون للكيان الصهيوني.

[2] - ينظر عبد الله صولة : الحجاج في القرآن الكريم ، ص 28

[1] - عبد الله صولة : الحجاج في القرآن الكريم ، ص 32

أما الحجاج المفهوم بالفصل فهو " الحجاج القائم على كسر وحدة المفهـوم بالفصـل بين عناصره المتضامنة على زوج : الظاهر / الحقيقـة ، ويمثـل الظـاهر الحـد الأول والحقيقة الحد الثاني"[2]. وقد أعطى المثال التالي : ليس هذا الإنسان بإنسان ، فالإنسان في الحد الأول هو الظاهر كما هو معطى مشاهد ومعاين فهو يمثل ظهـوره ووجـوده فـي المجتمع ، ويمثل الحد الثاني أي حقيقة الإنسان مطلقا وصورته المثلى كما ركزهـا فـي عقلنا الدّين والأخلاق والثقافة...

كما حدد الباحثان أيضا ملامح الحجاج بخمس ملامح رئيسة : 1- يتوجه إلى مستمع 2- يعبر عنه بلغة طبيعية ،3-مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية ، 4- لا يفتقـر تقدمـه إلى ضرورة منطقية ، 5- ليست نتائجه ملزمة.[3].

فهذه الملامح التي ذكرها الباحثان هي ما تميز الحجاج عن البرهان ، إذن فهي غير ملزمة بالصرامة البرهانية ، هذا ما يجعل هذه الملامح بلاغية لأن البلاغة لا تقوم علـى الإلزام.

ونجد " أوليفي روبول " أيضا قد نشر عدة مقالات في مجال الحجاج البلاغي ، ومن أهم ما قدمه مقاله المشهور : هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغـي ؟ وكـذلك مقالـه " الصورة والحجة "

يقول " روبول " في أثناء حديثه عن البلاغة : " ... لن نبحث عن جوهر البلاغـة لا في الأسلوب ولا في الحجاج ، بل في المنطقة التي يتقاطعان فيها بالتحديد ، بعبارة أخرى ينتمي إلى البلاغة بالنسبة إلينا كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسـلوب ، كـل خطـاب

(2) المرجع نفسه ، ص 33

(3) – محمد العمري : البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 1 ، 2005 ، ص 220

تحضر فيه الوظائف الثلاث : المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة ، كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج"[1].

من خلال كلامه يتبين لنا أنه جمع البلاغة في شيئين اثنين الأسلوب الذي يضفي على الخطاب الجمالية والمتعة... ، وكل ماهو حجاجي يضفي على الخطاب طابعه الإقناعي.

و بهذا فالبلاغة جمال ومتعة بالإضافة إلى الحجاج الذي يهدف إلى الإقناع.

يقول " روبول " كذلك أثناء حديثه عن علاقة البلاغة بالحجاج : " لا مفر من البلاغة لأي حجاج دون أن يؤدي ذلك إلى التحريض"[2].

فهنا وحد بين البلاغة والحجاج ، فالعناصر البلاغية توفر للخطاب عناصر سحرية وجدانية جمالية ، فإذا كانت حججا فقد يستطيع المتكلم أن يؤثر في المتلقي وأن يوجهه إلى الوجهة التي يريد.

ومن هنا يمكن أن نخلص إلى أن لا بلاغة بدون حجاج ولا حجاج بدون جمال.

ونجد في مقاله " الصورة والحجة " يطرح تساؤل هل بالإمكان أن تكون الصورة حجة فيقول : " تكون الصورة حجة أو عنصر حجاجي فيبين أن الصور في مختلف أنواعها

(1) – أوليفي روبول : هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي ؟، ترجمة محمد العمري ضمن كتابه البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، ص 22

(2) – المرجع نفسه ، ص 234

(صور الكلمات ، صور المعنى ، صور التركيب ...) تؤدي وظائف حجاجية"[1].

فهو يعتبر الصورة حجاجية لأنها تتغير من بنيتها الصحيحة والمعروفة إلى بنية أخرى ومحتوى آخر كاستعمال الاستعارة والتشبيه والكناية ...

كأن نقول مثلا : زيد رجل مغوار وشجاع ، زيد أسد

(1) – محمد العمري : البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، ص 23

فهنا نقلنا الصورة من محتواها المعروف إلى محتوى آخر وذلك بتعويضها بغيرها وهو التشبيه.

كما بين أن الصور في مختلف أنواعها تؤدي وظيفة حجاجية ، يقول : " فصور الكلمات تبدو خاصة بالقول الشعري والهزلي ولكنها تلعب مع ذلك دورا حجاجيا ، في حين تبدو صور المعنى أو المجازات أكثر ملاءمة وقربا للحجاج ، مثل الاستعارة والكناية والمبالغة..."[2].

وتحدث " بيرلمان " أيضا عن الصورة ، وميز بين الصورة الحجاجية والصورة التحسينية بقوله " نعتبر صورة التعبير حجاجية إذا استتبعت تغييرا في الأفق ، فبدا استعمالها عاديا بالنسبة للمقام الجديد ، على خلاف ذلك لا يستتبع انخراط المستمع في الشكل الحجاجي ، فإن الصورة ستظهر كمحسن ، أي كصورة أسلوبية ، بوسعها أن تثير الإعجاب ، ولكن ذلك يظل في المستوى الجمالي"[3].

ف "بيرلمان " يريد أن يخرج البلاغة من مجالها التحسيني إلى مجالها الحجاجي التداولي ، والصور المقصودة عند " بيرلمان " هي نفسها الصور التحسينية الجمالية التشبيه والاستعارة ...، فهو يريد أن يصل إلى فكرة أن هذه الصور الجمالية يجب أن تعمل لغاية حجاجية وليس لغاية جمالية. ومن خلال حديثنا عن البلاغة الحجاجية لاسيما عند القدماء أو المحدثين يمكن أن نختزلها في جملة واحدة وهو أن وراء كل حجاج بلاغة ووراء كل بلاغة حجاج ، لأن مدار كل منهما هو الإغراء والإغواء وهذا قصد الإمتاع والإقناع معا.

فبعد هذه الرؤية للحجاج البلاغي ، يجدر بنا الحديث عن الاستعارة الحجاجية بكل أبعادها ، وذلك لما تلعبه من دور فعّال في النظرية الحجاجية.

*** الاستعارة الحجاجية :**

---

(2) – المرجع نفسه ، ص نفسها

(3) – المرجع نفسه ، ص 44

جاء في أسرار البلاغة للجرجاني : " اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل على الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقل غير لازم فيكون كالعارية "[1].

فالاستعارة من منظور الجرجاني هي انتقال اللفظ من أصله اللغوي ويجري على ما يوضع له ، وهذا ما أشرنا إليه أنفا أثناء حديثنا عن الصورة والحجة عند " روبول " ورأينا أن كل صورة هي عبارة عن حجة ، انطلاقا من هذا يمكن اعتبار أن الاستعارة عند الجرجاني هي حجة.

كما يوجد في المقابل تعريف منطقي للاستعارة وهو : " إبدال قد يحصل به اختصار وإيجاز ، وذلك بوضع المستعار مكان المستعار له ، والأصل في الإبدال الاستعاري هو قياس ، لأن الاستعارة من حيث التركيب المنطقي نوع من القياس إلا أنه قياس مختزل ، وبعبارة أدق قياس إضماري أي قياس حذفت مقدمتاه ، وأكتفي بالنتيجة"[2]

مثلا : إذا قلت عن الشيخوخة بأنها عشية العمر .

فالاستعارة التي في لفظ " عشية " هي في الحقيقة نتيجة لمقدمتين مضمرتين

- المقدمة الأولى : الشيخوخة آخر العمر
- المقدمة الثانية : العشية آخر النهار
- النتيجة الاستعارية : الشيخوخة عشية العمر.[1]

---

(1) – عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة في علم البيان ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2001 ، ص 28

(2) – شوقي المصطفى : المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء : ط 1 ، 2005 ، ص 23

(1) – شوقي المصطفى : المجاز والحجاج في درس الفلسفة ، ص 24

فمن خلال هذا المثال يمكن أن نعتبر الاستعارة المنطقية استعارة حجاجية لأنها تعتمد على الإضمار من ناحية ، فيمكن أن نعتبر المقدمتين المضمرتين كحجتين للنتيجة المعلنة ، كما تعتمد على الإيجاز من ناحية أخرى ،وهذا ما نجده في القياس الطبيعي

كما نجد تقسيمات أخرى للاستعارة ، ولكن ما يهمنا كيف تعمل الاستعارة الحجاجية؟

فعبد القاهر الجرجاني يقسمها إلى مفيدة وغير مفيدة فيقول : " فالاستعارة المفيدة تلعب دورا أساسيا في البناء الشعري ، ولولاها لم يحصل لك ما تريد تصويره ، أما الاستعارة غير المفيدة ، فهي لا تعدو أن تكون تلاعبا بالألفاظ "[2].

فالاستعارة غير المفيدة تذكرنا بالحديث عن الحجاج عند السوفسطائيين ، الذي كان الحجاج عندهم هو التلاعب بالألفاظ لإقناع السائل ، والتلاعب بالألفاظ يدخل ضمن البلاغة السوفسطائية ، ونخلص إلى أن الاستعارة غير المفيدة هي استعارة حجاجية .

ونجد أرسطو كذلك قسم الاستعارة إلى ثلاثة أقسام : الاستعارة الجمهورية والاستعارة الشعرية والاستعارة الحجاجية يقول : " وقد أقمنا هذا التمييز انطلاقا من مقام التواصل اليومي للخطاب ، فإذا كان الخطاب يهدف إلى الإقناع يكون حجاجيا وحين يهدف إلى المتعة يكون شعريا ، وحين يهدف إلى الإبلاغ يكون عاديا (متداولا) ، ومن هنا فالاستعارة الجمهورية تهدف إلى الإبلاغ ، والاستعارة الحجاجية تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف العاطفي أو الفكري للمتلقي ، في حين أن الاستعارة الشعرية لا تهدف إلا لذاتها"[3].

فالاستعارة الحجاجية حسبه تهدف إلى الإقناع ، وهذا ما تحدث عنه أثناء حديثه عن الريطورية أو الخطابية ، وهي توجيه المتلقي إلى الوجهة التي يريدها المتكلم، وذلك للتغيير في مواقف وأفكار المتلقي.

---

[2] – عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 173

[3] – عمر أوكان : اللغة والخطاب ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، د ط ، 2001 ، ص 131

فما قاله " أرسطو " يمكن أن نسقطه على نوعين من الاستعارة وهمـــا : الاســـتعارة الحجاجية والاستعارة البديعية ، وسوف نحاول أن نفصل فيهما ، فأما الاستعارة الحجاجية فهي : " استعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابــه ، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية ، فالاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية"[1].

فالاستعارة بهذا المفهوم تعتمد على مقومات أساسية في العملية الحجاجية كالمســتمع والمتكلم والسياق... ، وهذا ما نجده مترصدا في الاستعارة التداولية التي هي : " وســيلة لغوية تواصلية وتفسيرها على مستويين بلاغيين : مستوى التواصل والتفاعــل البشــري والمستوى الأدبي والفني ، وتفسيرها يترتب على عملية الترجمة من الانتقال مــن ســياق التلقي الذي أنتجت فيه الاستعارة إلى سياق آخر ، وما يتعلق بذلك من اخــتلاف الســياق الثقافي والاجتماعي"[2].

فالاستعارة التداولية بمفهومها العام اعتمدت كذلك على مستويين : مســتوى لغــوي ومستوى أدبي فني.

من هنا نخلص إلى أن الاستعارة الحجاجية هي جــزء لا يتجــزء مــن الاســتعارة التداولية، لأن الاستعارة الحجاجية اللغوية تهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي ، وذلــك بحسب السياق ومقصد المتكلم ومقتضيات المقام ، وهذا يؤدي إلى فعالية حجاجية أعمق.

أما الاستعارة البديعية فهي : " تكون مقصــودة لــذاتها ، ولا تــرتبط بــالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية ، وإنما نجد هذا النوع من الاستعارة عند الأدباء والفنانين الذين يهدفون من ورائها إلى إظهار تمكنهم من اللغة ، فالسياق هنا هو سياق الزخــرف اللفظي ، والتفنن الأسلوبي وليس سياق التواصل والتخاطب "[1].

---

(1) – أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص 108

(2) عيد بلبع : الرؤية التداولية للاستعارة ، مجلة علامات ، العدد 23 ، 2005 ، ص 99

(1) – أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص 109

الاستعارة بهذا المفهوم يمكن أن نعتبرها جمالية ، يستعملها الأديب أو الفنان كتـزيين أو تلميع ليظهر في أحسن صورة ومحاولة إخفاء كل العيوب التي يعاني منها كعدم تمكنه من اللغة مثلا ، وقصده ليس التواصل والتأثير في مقاصد المتكلمين ، بـل التفـنن فـي الأساليب والزخارف اللفظية.

و برغم المفارقات والتباينات بين الاستعارة الحجاجية والاسـتعارة البديعيـة ، إلا أن هناك من يمزج ويقرن بينهما وهو " ميشال لوقرن " " Michel Le Guern " في مقاله " الاستعارة والحجاج " إذ يقول : " وهكذا نجد في مقابل الغاية الجمالية للاستعارة الشـعرية مطمحا إقناعيا للاستعارة الحجاجية "[2].

فالاستعارة البديعية يمكن أن نعتبرها إقناعية إذا وظفت جمالها وسحرها بالتأثير فـي المتلقي، وكذلك يمكن اعتبار أن كل استعارة حجاجية هي استعارة جمالية لأن الحجـاج لا يكون عار من الجمال ، وهاهنا مزجنا بين الجمال والإقناع ، ويمكن أن نسقط هذا القـول على ما قاله " روبول " أثناء حديثه عن البلاغة الحجاجية ، عندما جمع بين كـل مـاهو حجاجي وماهو جمالي.

وكحوصلة عن الاستعارة وتقسيماتها نخلص إلى فكرة أن كل استعارة لاسيما بديعية أو منطقية أو حجاجية تهدف إلى أساس واحد وهو الإقناع ، وذلك لأن الاستعارة إلى حـد كبير هي صورة مجازية ، والمجاز في الحجاج كما قال طه عبد الرحمان : " لا حجـاج بغير مجاز "[3]، وهذا النوع قد أشرنا إليه أثناء حديثنا عن طبيعة الحجاج ، وبالتحديد أثناء حديثنا عن الالتباس ودوره في الحجاج. بالرغم من أن هناك آليات حجاجية أخـرى ، إلا أننا ركزنا على الاستعارة لكونها الأكثر انتشارا ، والأكثر تناولا من قبل الباحثين.

بعد أن تطرقنا إلى الحجاج البلاغي ، فربما نكون قـد قـدمنا بعـض المرتكـزات الأساسية لاسيما عند القدماء أو المحدثين. والآن سوف نحاول أن نخوض في مجال آخر من مجالات الحجاج ، ألا وهو الحجاج اللغوي.

---

(2) سامية الدريدي : الحجاج في الشعر القديم ، ص 121

(3) – طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 213

2.4 – المجال اللغوي :

لقد حاولت المقاربة اللغوية أن تعالج الحجاج كظاهرة لغوية لسانية ، مستلهمة كل ما يتعلق بالحجاج وعلاقته باللغة. وفي هذا الصدد سوف نبرز أهم أقطاب هذا المجال بدءا بأعمال " أميل بنفنست " في الملفوظية إلى نظرية الأفعال الكلامية عند " أوستين " و" سورل" إلى التداوليات المدمجة عند " أنسكومبر " و " ديكرو "

1.2.4 : الأسس والمنطلقات الأساسية للحجاج اللغوي :

لقد تأثرت الدراسات اللغوية بالتصورات البنوية السوسيرية ، والتي أكد فيها " سوسير " أن : " الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل وهو حسبه عملية يجري فيها نقل المعلومات والأخبار بين مرسل ومرسل إليه حيث يتولى الطرف الأول تزويد الطرف الثاني بمعرفة لم يكن يتوفر عليها من قبل "[1].

فوظيفة اللغة الأساسية هي تبليغ المعلومات ونقل الأخبار من مرسل إلى مرسل إليه قبل أي شيء آخر.

من هذه النقطة انطلق كل من أقطاب التداولية " أوستين " و " سورل " ...وكذلك أقطاب الحجاجية اللغوية " ديكرو " و " أنسكومبر " إلى معارضة هذا الرأي ، وإقرارهم بأن اللغة لها وظائف أخرى.وذلك بتركيزهم على التلفظية التداولية التي تندرج ضمن اللغة ذاتها.

تنصرف الدراسة في التوجه اللغوي إلى البنية الللغوية للملفوظات ، وكذلك إلى إبراز البنية التركيبية للغة ، نجد بذور هذا التحليل عند "إ.بنفنست " الذي يرى " أن اللغة لا يمكن أن تتحقق فعليا إلا بواسطة التلفظ وحينئذ تتحول اللغة إلى خطاب يجسد علاقة بين متكلم ومستمع "[2]

فهذا التحليل يسعى إلى صوغ القواعد اللغوية وذلك بربطه بين عنصرين أساسيين وهما التلفظ والعلاقة التي يجسدها الخطاب بين المتكلم والمستمع.

---

(1) الراضي رشيد : الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر، مجلة عالم الفكر ، ع1 ، سبتمبر، 2005 ،ص214

(2) – حبيب أعراب : الحجاج والاستدلال الحجاجي ، ص 104

كما أكد أيضا أن التلفظ " يتميز بحدة العلاقة الخطابية مع الشريك سواء أكان شريكا حقيقيا أو متخيلا ، فرديا أو جماعيا ، وهذه الخاصية تطرح بالضرورة ما يمكن أن نطلق عليه : الإطار التشخيصي للتلفظ "[1].

وسوف نحاول التفريق بين الملفوظ والملفوظية حتى تتضح الرؤية أكثر ، فالملفوظ هو " الوحدات اللسانية الحاملة لمعلومات ، ليس على مستوى مرجع الخطاب ، بل على مستوى لافظه"[2].

أو " يكون على الأقل - جملة ... ويمكن أن يحمل آثار التلفظ من خلال بروز التصحيحات والتصويبات"[3]

إذن فالملفوظ هو ما تلفظ به المتكلم وحافظ على حضور لافظه .

أما الملفوظية فهي " عملية إنتاج الملفوظ ...، وتشكلها مجموع العوامل والأفعال التي تسهل إنتاج الملفوظ ، بما في ذلك التواصل ذاته"[4]

إذن نخلص أن الملفوظية تقوم بدورها على الملفوظ ، وهو ما تلفظ به المتكلم ، أي أداؤه الفردي للغة ، كما تقوم على التفاعلات الأخرى كالتواصل ...

انطلاقا من التصور الذي اقترحه " بنفنست " في الملفوظية ، توصلت المدرسة التحليلية الانجليزية ، ونعني " أوستين " و" سورل " و " غرايس " ، وذلك من خلال نظرية أفعال الكلام.

2.2.4 - نظرية أفعال الكلام :

---

(1) - حبيب أعراب : الحجاج والاستدلال الحجاجي ، ص 104

(2) - خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2009 ، ص 103

(3) المرجع نفسه ، ص 104

(4) - المرجع نفسه ، ص نفسها

تعتبر نظرية أفعال الكلام من الموضوعات الأساسية للسانيات التداولية ، هذه الأخيرة تسعى للإجابة عن أسئلة مهمة : من يتكلم ؟ وإلى من يتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟ ماهو مصدر التشويش والإيضاح ؟ كيف نتكلم شيئا ونريد شيئا آخر ؟[1].

لهذا السبب هناك من يرى استحضار مقاصد التكلم وأفعال اللغة وبعدها التداولي والسياقي ، كما أن هذه الأسئلة تنطبق على دراسة الخطاب الحجاجي اللفظي وهو يحوي بعدا تداوليا.[2]

انطلقت المدرسة التحليلية الإنجليزية (أوستين وسورل ...) ، من خلال نظرية أفعال الكلام ، بمعارضة وتفنيد النظرية السوسيرية والتي أقرت بان اللغة هي مجرد نقل للمعلومات...

و يرى " أوستين " أن " الكلام العادي يتضمن متكلما، ومتلقيا وملفوظا ، كما توجد هناك عدة أفعال يمكن ربطها بالمتكلم ... والمتكلم لا يصدر أصواتا فقط من خلال كلامه ولكنه ينجز بعض الأفعال مما تصدر هذه الأخيرة بعض الحجج التي من شأنها أن تقنع المتلقي"[3].

من خلال هذا الكلام نفهم أن من شروط الخطاب المتكلم و المستمع والملفوظ ، كما أن هناك أفعالا تختص بالمتكلم فقط ، كما ينجز هذا الخطاب بعض الأفعال التي تكون حججا في بعض الأحيان.

كما قسم " أوستين " أيضا في بداياته الأولى الجمل إلى وصفية (خبرية) ، وجمل إنشائية، فيقول : ' الجمل الخبرية هي الجمل التي يمكن الحكم عليها بالصدق أو بالكذب ، والجمل الإنشائية هي التي يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق ، ومن ثم لاحظ أن

---

(1) – فرانسوا أرمينكو : المقاربة التداولية ، ترجمة سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، د ط ، 1986 ، ص 5

(2) – ينظر المرجع نفسه ، ص 6

(3) PIER PAOLO GIGLIOLI LANGUAGE AND SOCIAL CONTEXT . PENGUING GROUP . LONDON . ENGLAD . 1ST PUBLISHED . 1972 . P 136

المقابلة بينهما ليست بالبساطة التي كان يظنها ، وقد قادته هذه الملاحظة إلى الإقرار بأن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز لغوي واحد على الأقل "[1].

فأعلن أيضا عن أهمية الجمل الإنشائية باعتبارها أفعالا لغوية من خلالها ينشئ المتكلم وقائع جديدة ، يقول : " ولا تقف فقط عند حدود وصف الوقائع القائمة سلفا ، وبالتالي فإنها تستحق عناية أكبر ، لفهم طبيعتها ، وتنسيق القوانين التي تتحكم فيها ... ليؤكد أن جميع الجمل هي في حقيقتها جمل إنشائية أي أنها أفعال كلامية ، مادامت ترتد بدورها فعل مخصوص هو فعل الإخبار ، الذي يعتبر فعلا كلاميا"[2].

غير أن " أوستين " رفض في المرحلة الثانية حول هذه الأقوال الثنائية التي وضعها في المنطلق بين الفعل الإنشائي والفعل التقريري وخلص إلى أن كل قول عمل ولا يوجد– إن أمعنا– جمل وصفية.[3]

و " أوستين " يرى أنه : ' لما كانت الأقوال أعمالا ، فإنه يتعذر الحكم عليها بالصدق أو الكذب "[4]

وعليه فكل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين[5]:

- إنجازية صريحة / مباشرة : فعلها ظاهر (أمر ، حضّ ، دعاء ، نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.
- إنجازية ضمنية / غير مباشرة : فعلها غير ظاهر ، نحو الاجتهاد مفيد تساوي أقول الاجتهاد مفيد وتساوي آمرك أن تجتهد.

---

(1) – آن روبول وجاك موشلير : التداولية اليوم : ترجمة سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 2003 ، ص 31
(2) – الراضي رشيد : الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر ،ص 216
(3) – ينظر : الجيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة : محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 23
(4) المرجع نفسه ، ص 24
(5) – ينظر خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، ص 96

وميز أيضا بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية وهي[1] :

- الفعل القولي : وهو الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما.
- الفعل المتضمن في القول : وهناك من يسميه القول الفاعل وهو الفعل الذي يتحقق بقولنا شيء ما .
- فعل التأثير بالقول : وهو الفعل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيء ما .

واستنادا لما تقدم قسم " أوستين " الأفعال الكلامية إلى مجموعات وظيفية وهي حسبه [2] :

- الأفعال الدالة على الحكم : وهي الأفعال التي تبث في بعض القضايا ، وتشمل على سبيل المثال : أفعال التبرئة ، الحكم ، الوعد ...
- أفعال الممارسة : وهي الأفعال التي تجلي ممارسة الحق ، ولها قوة في فرض واقع جديد مثل : الانتخاب ، التعيين ، الاستشارة ...
- أفعال الوعد : وهي الأفعال الكلامية التي تؤسس لدى المتكلم إلزامية القيام بعمل ما معترف به من قبل المتكلم مثل : القسم ، الرهان ، التعهد ...
- أفعال السلوك : وهي مجموعة متباينة مرتبطة بالسلوك الاجتماعي للمتكلم والتي تحمله على اتخاذ موقف إزاء المخاطب مثل : الاعتذار ، التهنئة ...
- أفعال العرض : وهي علاقة المتكلم مع ما يقوله عن طريق المحادثة أو المحاجة مثل : الإثبات ، التأكيد ، النفي ...

ومما قدمه " سورل " أنه أعاد اقتراح وتقسيم آخر للأفعال الكلامية ، وميز بين أربعة أقسام [3] :

- فعل التلفظ (الصوتي والتركيبي) أي الفعل المتحقق
- الفعل القضوي (الإحالي والجملي) أي أفعال قضوية

---

(1) - ينظر آن روبول وجاك موشلير : التداولية اليوم ، ص 31 - 32

(2) - ينظر عمر بلخير :: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2003 ، ص 159

(3) - ينظر خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، ص 99

- الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل اوستين)الفعل القصدي لمنطوق ما
- الفعل التأثيري (على نحو ما فعل أوستين)

وسرعان ما أعاد اقتراح خمسة أفعال لها [1] :

- أفعال الإثبات : غايتها الكلامية تكمن في جعل المتكلم مسؤولا عن وجوه وضع للأشياء ويشمل : التأكيد ، الوصف...
- أفعال التوجيه : وغايتها حمل الشخص على القيام بفعل معين وتشمل : الأمر ، النهي...
- أفعال الوعد : وغايتها إلزام المتكلم بالقيام بشيء معين.
- الأفعال التعبيرية : وتتمثل في التعبير عن حالة نفسية مثل : الاعتذار والسرور ...
- الإعلانات : غايتها إحداث تغيير عن طريق الإعلان وتشمل الأفعال الدالة على ذلك مثل : الإعلام ، الإعلان ، الإخبار...

انطلاقا من تحديد معاني أفعال الكلام وتقسيماتها يرى " فان دايك " أن أفعال الكلام هي الغرض الرئيس للتداولية فيقول : ' وغني عن القول أن تحليلا سليما لأفعال الكلام هو الغرض الرئيسي للتداولية (أفعال الكلام) لأنه لا يمكن أن يتم بغير فهم مسبق لمعنى الفعل أو التصرف "[2].

بعد أن عرضنا الأفعال اللغوية عند كل من " أوستين ' و " سورل " ، نحاول أن نبين كيف يمكن أن يكون الحجاج اللغوي جزءا لا يتجزأ من الأفعال اللغوية خاصة والتداولية عامة.

إن دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو شأن من شؤون التداولية " لخضوع الخطاب الحجاجي ظاهريا وباطنيا لقواعد وشروط القول والتلقي ، وتبرز فيه مكانة القصدية

---

(1) – ينظر عمر بنخير : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص 160 – 161
(2) فان دايك : النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة عبد القادر قنيني ، افريقيا الشرق ، المغرب ، د ط ، 2000 ، ص 227

والتأثير والفعالية وبالتالي قيمة ومكانة الذوات المتخاطبة ، فهكذا ينتمي النص الحجاجي إلى مجال التداولية"[1].

على غرار " فان ايمرن " و " جروتندورست " اللذين يريان أن " الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج ، إذ أن كلا من هذه الأفعال يقوم بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب ، وتترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال "[2].

كما يحمل الخطاب الحجاجي كذلك بعدا تداوليا متعدد المستويات [3] :

- على مستوى أفعال اللغة (وقد أوردناها سابقا عند كل من " أوستين " وسورل).
- على مستوى السياق : وهو كذلك قسم مهم من أقسام التداولية ، وهو الذي يضفي السمة الحجاجية على تخاطب ما ، مما يجعل الحجاج ضمنيا أو صريحا ، هكذا نجد تعابير إنجازيه موجهة إلى ربط قول ما بباقي الخطاب ، وبكل السياق المحيط، ومن هنا نعثر على " أجيب " و " أستنبط " و " أستخلص " و " أعترض " وتأتي هذه التعابير لتربط القول بالأقوال السابقة وأحيانا بالأقوال اللاحقة .
- على المستوى الحواري : وفيه يتجلى البعد التداولي للخطاب الحجاجي سواء كانت ذوات هذا التحاور مضمرة أو متعددة الأصوات والأمارات ، وتقول " أرمينكو " في هذا الصدد : " تعد الحوارية مكونا لكل كلام وتعرف كتوزيع لكل خطاب إلى لحظتين تولدان علاقة حالية ، ويقدم المبدأ الحواري من خلال الحدود التالية : كل تلفظ يوضع في مجتمع معين لابد أن ينتج بطريقة ثنائية ، تتوزع بين المتلفظين الذين يتمرسون الاصاتة وثنائية العرض "[4].

من هذا المنطلق يمكن أن نعتبر أن الحوار صميم كل خطاب على الإطلاق ، ويكون الخطاب الحجاجي هو الأبرز والمهم فيه.

---

(1) – حبيب أعراب : الحجاج والاستدلال الحجاجي ، ص 101
(2) – عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص 483
(3) – فرانسوا أرمينكو : المقاربة التداولية ، ص 64
(4) – المرجع نفسه ، ص 65

وفي الأخير نقول أننا قد سلطنا الضوء على الأفعال اللغوية لكونها العمدة الرئيسة للتداولية ، والتي ترى أن اللغة لا يتمثل دورها في تبليغ المعلومات ، بل يتعدى ليشكل فعلا يؤدي إلى انجاز شيء معين. كما أشرنا إلى السياق والحوار ...وهما كذلك من اختصاصات التداولية ، ولكن المهم أننا أشرنا كيف تعمل هذه المستويات التداولية في الخطاب الحجاجي .

3.2.4 – التداوليات المدمجة :

امتدادا لأعمال " إ.بنفنست" ، والمدرسة التحليلية ، نجد المساهمة الأساس أعمال " ديكرو" و " انسكومبر"

إن ما انتهت إليه نظرية أفعال الكلام ، ستشكل منطلق أعمال " ديكرو " و " أنسكومبر " في بناء النظرية الحجاجية ، هما يريان أن : " الفعل اللغوي سيشكل مرتكزا للحديث عن النشاط التلفظي ومن ضمنه الحجاج ، كفعل يقوم به المتكلم ، فتنعكس آثاره واضحة في الملفوظ الذي ينتجه هذا النشاط "[1]. من هنا أقر ديكرو بأن :" القول منطبع في المقول، وتبعا لذلك فإن الملفوظ يلمح إلى التلفظ ، بمعنى أن الملفوظات التي ننتجها في نشاطنا اللغوي تتكيف مع طبيعة الفعل اللغوي الذي تتولد عنه هذه الملفوظات ، ويظهر ذلك واضحا في البنية الداخلية لهذه الملفوظات ذاتها"[2].

إن توجه الحجاجيات اللسانية كالقوة الحجاجية ، والتوجه الحجاجي والقصد الحجاجي ، والمقدمات المضمرة ...مفاهيم لا يمكن الاستغناء عنها أثناء وصفنا للملفوظات ، ويمكن إعطاء مثال حتى تتضح الرؤية أكثر فقولنا مثلا " أنا جد متأخر ، لكنني مع ذلك سأشرب معكم كأسا من الشاي ، فهذا يمكننا وصفه بقولنا إن المتكلم في هذا الملفوظ يورد حجة (أنا جد متأخر) التي يفترض أنها تعزز النتيجة المضمرة (سأنصرف فورا) ، ولكنه يوهنها حجاجيا اعتمادا على الرابط الحجاجي (لكن) متبوعا بالنتيجة

---

(1) الراضي رشيد : الحجاجيات اللسانية عند ديكرو و أنسكومبر ، ص 217

(2) – المرجع نفسه ، ص نفسها

(سأشرب معكم كأسا من الشاي) ، إن هذا الوصف يراعي معطيات السياق التداولي ، وخاصة الإستراتيجية التلفظية للمتكلم (مقاصده المضمرة) "[1].

هذا ما قاد " أنسكومبر " و" ديكرو " إلى تأسيس ما يسمى بالتداولية المدمجة ، وهي اتجاه تعبر عن مضمونه ما قاله هاذان الباحثان : ' إن التداولية يجب إدماجها في الوصف الدلالي ، وليس فقط إضافتها إليه ، كما يمكن إدماج الظواهر التداولية في صميم الدراسة اللسانية ، فالرهان الأساس حسبهما هو إسناد الدلالة إلى الجمل ، إذ يتم إسناد دلالة كل جملة بشكل يسمح بتوقع معنى الملفوظ في سياق محدد "[2].

كما قاما أيضا بتقديم فرضيات للتداولية المدمجة ، وقسماها إلى فرضيات خارجية وفرضيات داخلية ، أما الفرضيات الخارجية فهي " ظاهرة جديدة تتمثل في كون المتكلمين بلغة معينة ، يمتلكون القدرة على منح معنى للملفوظات التي يتم إنجازها بواسطة هذه اللغة ، وكذلك البحث عن الكيفية التي يجري بها تأويل الملفوظات في أوضاع استعمالية مختلفة "[3] ، فمثلا الملفوظات التالية [4] :

- نسيت مرة أخرى أين وضعت المفاتيح (1)
- سعد ذكي (2)
- سعد ذكي لكنه مهمل (3)

فالمخاطب بهذه الملفوظات يعرف أن المتكلم بالملفوظ (1) ، ينجز فعل الاستخبار ، والمتكلم بالملفوظ (2) ينجز حجاجا في صالح سعد ، والمتكلم بالملفوظ (3) ، ينجز حجاجا في غير صالح سعد.

أما الفرضيات الخارجية فهي " تبرز الطبيعة العلمية النظرية لعملية إسناد الدلالة إلى

(1) – الراضي رشيد : الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر ، ص 219

(2) – ديكرو وأنسكومبر : الحجاج في اللغة ، نقلا عن حسان الباهي : الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 1 ، 2004 ، ص 133

(3) – الراضي رشيد الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر ، ص 223

(4) – المرجع نفسه ، ص 224

الجمل ، فالجملة ليست هي الملفوظ لأنها ذات طبيعة نظرية مجردة ، أي أنها تنتمي إلى اللغة الواصفة ، أما الملفوظ فله وجود واقعي في حياة الناس اليومية "[1].

كما قدما أيضا مفهوما جديدا في التداولية المدمجة وهو مفهوم الإرشادات ، وهو مفهوم بديل للتداولية المدمجة ، وهي " علامات يجري تقديمها إلى أولئك الذين يسعون إلى تأويل ملفوظ معين ، فتدفعهم للبحث في وضعية الخطاب ، عن المعطيات التي تفيد بصورة ما في إعادة بناء المعنى المقصود من المتكلم "[2].

نفهم من خلال هذا الكلام أن المتلقي يوجه القول بوجهته الخاصة ، وذلك باعتمادهم على السياق التداولي ، والقصد الذي يهدف إليه المتكلم.

وتنقسم الإرشادات إلى [3] :

- إرشادات تلفظية : تتحدد مهمتها في تقديم إرشادات ومعلومات تخص الطريقة التي توحي بها دلالة الجملة إلى عملية التلفظ .
- إرشادات حجية : ترتبط بالعوامل والروابط الحجاجية وتقدم إرشادات تخص الوجهة الحجية للجمل .

وقد أعاد محمد طروس صياغة أهم المفاهيم الأساسية وأهم الأفكار الواردة في التداوليات المدمجة وهي [4] :

- أن كثيرا من الأفعال القولية لها وظيفة حجاجية تتمظهر في بنية الجمل ، وتحمل الجمل مؤثرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية.
- استقلال المقول عن المحتوى الخبري ومن ثم عدم الحكم عليه بالصدق أو بالكذب لأنه لا تنطبق عليه شروط الصدق ومنه أصبح الحكم عليه يستند إلى القوة والضعف التي تحكم علاقة الحجج ببعضها البعض .

---

(1) – الراضي رشيد : الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وانسكومبر ، ص 225

(2) – حسان الباهي : الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، ص 134

(3) – المرجع نفسه ، ص 135

(4) – محمد طروس : النظرية الحجاجية ، ص 106 – 107

- سيندمج التداول في الوصف الدلالي ويشتغل مباشرة على البنية التركيبية فيسمى بالتداوليات المدمجة ، والوصف الدلالي آلة لها نفس كفاءة الذوات المتكلمة تربط المعنى بالقول وتصور لنا الحدث اللساني باعتباره امتدادا للذاتية ، غير أن نظرية التداولية المدمجة ارتبطت بالسلالم الحجاجية والروابط والعوامل الحجاجية

والخلاصة أن "ديكرو" يحاول أن يدافع على فكرته وهي أن اللغة ذات توجيه حجاجي على عكس الصورة التي قدمها " سوسير " ، والتوجيه الحجاجي يكون لازم لجملة على الأقل ، والتي تحتوي دلالتها على توجيه ، حيث يقول "ديكرو" : " بتلفظنا لهذه الجملة نحن نحاجج في صالح استنتاج معين"[1].

واعتبر أيضا أن التداوليات المدمجة هي بديل للمعالجة الدلالية التقليدية ، بأن عمدت (التداولية المدمجة) إلى إدماج الظواهر التداولية في الدراسة الدلالية اللسانية ، وأصبح الحجاج عنصرا ينتمي إلى اللغة.

*** العوامل والروابط الحجاجية :**

مما سبق يمكن أن نقول أن العوامل والروابط الحجاجية ، مفاهيم أساسية في الحجاجيات اللسانية ، أو قل أن النظرية الحجاجية في جوهرها تقوم على هذه العوامل والروابط ، وهو ما يفرض علينا إفرادها بالبيان والتوضيح .

تشمل اللغة العربية عددا كبيرا من العوامل والروابط الحجاجية ، ومن بينها نذكر : لكن ، بل ، إذن ، حتى ، لاسيما ، إذ ، بما أن ، مع ذلك ، ربما ، تقريبا ، إنما ...

فهذه العوامل والروابط من أهم موضوعات الحجاج ، فكيف تعرّف الحجاجيات اللسانية العامل والرابط الحجاجيين ؟ وما وظيفتها في الخطاب الحجاجي ؟

هناك اختلاف بين مدلول العامل والرابط " فالعامل هو الذي يقوم بالربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه ، فهو على هذا موصل قضوي ، فهو بهذا يحمل المكونات داخل الفعل اللغوي ، فيبقى هذا الفعل ملتحما ، أما الرابط فهو الذي يربط بين

---

(1) - جون سرفوني : السانيات والتداولية ، ترجمة الحاج حمو ذهبية ، WWW. ORM. ORG

فعلين لغويين اثنين ، فهو موصل تداولي معناه أنه يكفل هذه المكونـــات ليجعـــل منهـــا أفعالا لغوية "[1].

وسوف نتعرض لكل من العامل والرابط الحجاجي بالتفصيل

- العامل الحجاجي :

إن العامل الحجاجي هو " صريفة (مورفيم) ، إذا جرى تطبيقـــه فـــي محتـــوى أو ملفوظ معين ، يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ "[2]. ويمكن صـــوغ هـــذا التعريف فيمايلي :

" إذا كانت مجموعة (با) من الملفوظات تشترك في المحتوى (ن) نفسه ، ومجموعة (باَ) من الملفوظات تشترك في المحتوى (نَ) ، بحيث : نَ = ن + و (حيث " و " ، هو عامل حجاجي مثل : تقريبا ، تماما ...) ، فإن " و " يكون عاملا حجاجيا ، إذا كانت إمكانات الحجاج التي تتيحها " باَ " مختلفة عن تلك التي تتيحها " با " من غيـــر أن يكـــون ذلك بسبب المعلومات التي يضيفها " و " ، أي بغض النظر عن قيمته الخبرية المجردة"[3]

ومثال ذلك مايلي [4] :

م 1 : إنها الثامنة مساء ⟵ ن أسرع

م 2 : إنها تقريبا الثامنة مساء ⟵ نَ أسرع

يمكن أن نعتبر(م1 هو با) ، و (م2 هو با) و (و " و" تقريبا) و (ن هو معطى با) و (نَ هو معطى باَ)

فيمكن أن نعتبر م2 أقوى من م1 ، وذلك ، بفضل العامل الحجاجي .

---

(1) – الراضي رشيد : الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر ، ص 234

(2) – المرجع نفسه ، ص 235

(3) – المرجع نفسه ، ص 235

(4) – ينظر المرجع نفسه ، ص 235

الرابط الحجاجي :

الرابط الحجاجي هو " الذي يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة "[1].

فإذا أخذنا المثال التالي [2] :

زيد مجتهد ، إذن سينجح في الامتحان.

فسنجد أنه يشتمل على حجة هي (زيد مجتهد) ونتيجة (سينجح) ، والرابط الحجاجي (إذن) الذي يربط بينهما.

وقد ميز أبو بكر العزاوي بين أنماط عديدة من الروابط منها [3] :

- الروابط المدرجة للحجج : وتضم كل من (لأن ، مع ذلك ، ...)، والروابط المدرجة للنتائج وتضم (إذن ، لهذا ، وبالتالي ...) ، والروابط التي تدرج حججا قوية وتضم (حتى ، بل ، لكن ، ...) وروابط التعارض الحجاجي و تضم (بل ، لكن ، ...) ، وروابط التساوق الحجاجي (حتى ، ...)

* **السلالم الحجاجية :**

كما أشرنا سابقا أن السلم الحجاجي هو من مقتضيات النظرية الحجاجية اللسانية ، وسوف نحاول أن نكشف بعض خفايا هذه النظرية.

منطلق النظرية :

تنطلق نظرية السلالم الحجاجية عند " ديكرو " من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين قول الحجة " ق " ونتيجة " ن " ، ومعنى التلازم أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة أن النتيجة يصرح بها أو تبقى ضمنية ، ويتضح ذلك في المثال التالي :

---

(1) – أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص 29

(2) المرجع نفسه ، ص 30

(3) – ينظر المرجع نفسه ، ص نفسها

س : ماذا تريد أن تفعل اليوم ؟

ج : ألا ترى أن الطقس جميل.

فالاستفهام في القول " ج " يمثل حجة لفائدة نتيجة ضمنية هي الخروج للنزهة ، وإن لم يقع التصريح بالنتيجة.[1]

وقد لاحظ " ديكرو " وهو يشرع في تحديد مفهوم هذه النظرية أن " كثيرا من الأفعال اللغوية ذات وظيفة حجاجية توجه المتلقي نحو نتيجة معينة أو تحول وجهته عنها و أن لهذه الوظيفة علامات ، ذلك أن القيمة الحجاجية للمقول لا تنتج فقط المعلومات التي يحملها وإنما يمكن للجملة أن تستخدم عبارات أو صيغ أسلوبية لإسناد الوجهة الحجاجية للمقول ، أي أن المقول يحمل في ذاته تعبيرا عن السمة الحجاجية وهي سمة تتنوع بتنوع المتكلمين ، وتبعا لأوضاع الخطاب فلا أحد يستطيع أن يتوقع النتيجة (ن) المقترحة من (م) المقدمة بواسطة (ب) "[2].

ثم أعاد وأقر أنه بالإمكان أن نتوقع النتيجة حيث قال : " بإمكاننا أن نتوقع انطلاقا من الجملة أن (م) و(ب) لا يقدمان لذاتهما بل يوجهان إلى نفس النتيجة وغن كانا لا يملكان نفس الدرجة من القوة "[3].

وبذلك صاغ " ديكرو " نظرية السلالم الحجاجية والخصائص التي تميز الحجاج ، متصورا نظام للحجج قائما على معيار التفاوت في درجة القوة والضعف.

وانطلاقا من هذا يمكن تعريف السلم الحجاجي على أنه " مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية "[4].

---

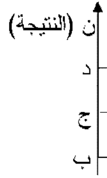
(1) – ينظر فريق البحث في البلاغة والحجاج : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، عن شكري المبخوت : نظرية الحجاج في اللغة ص 363

(2) – محمد طروس : النظرية الحجاجية ، ص 94

(3) المرجع نفسه ، ص 95

(4) – أبو بكر العزاوي : اللغو والحجاج ، ص 20

ويمكن أن نرمز له بمايلي :

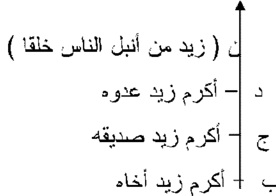


حيث : ب ، ج ، د تخدم النتيجة ن

وقد ذكر طه عبد الرحمان شرطين أساسيين للسلم الحجاجي وهما [1] :

- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث يلـزم أن القـول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه .
- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه والعكس ليس صحيح .

وبيّن ذلك بالرسم التالي :



وقد استخلص ثلاث قوانين أساسية للسلم الحجاجي وهي :

أ – قانون الخفض :

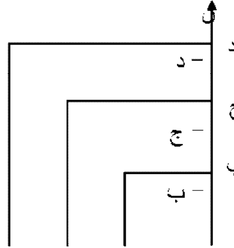
ينتج قانون الخفض عن طريق النفي اللغوي ، وقد صاغه بالتعريف التالي : " إذا صـدق القول في مراتب معينة من السلم الحجاجي فإن نقيضه يصدق في المراتـب التـي تقـع تحتها"[2].

---

(1) طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 277

(2) – المرجع نفسه ، ص نفسها

وقد أوضح الرسم السلمي لهذا القانون الصورة التالية :



ب – قانون تبديل السلم :

يصوغه طه عبد الرحمان بهذا التعريف فيقول : " مقتضى هذا القانون أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين فإن دليل نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله "[1].

ويكون بذلك هذا القانون مرتبط بالنفي أي إذا كان قول (أ) مستخدم من قبل متكلم ليخدم نتيجة معينة فإن نفيه أي (– أ) يكون حجة لصالح النتيجة المضادة لها ، وبعبارة أخرى إذا كان (أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية بواسطة (ن) ، فإن (– أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة (لا ن).[2].

ج – قانون القلب :

يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي ومفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس الأقوال الاثباتية ، وبعبارة أخرى إذا كان (أَ) أقوى من (أ) بالقياس إلى النتيجة (ن) فإن (– أَ) هو أقوى من (– أ) بالقياس إلى النتيجة (لا – ن) ، ويمكن التعبير عن هذه الفكرة بصيغة أخرى فنقول:إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة.[3]

---

(1) – طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 278

(2) ينظر المرجع نفسه ، ص 278

(3) – ينظر : أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص 22

ولنوضح هذا بالمثالين التاليين :

- حصل زيد على الماجستير وحتى الدكتوراه

- لم يحصل زيد على الدكتوراه ، بل لم يحصل على الماجستير

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه.[1]

[1] - ينظر : أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص 23

الفصل الثاني

* آليات الحجاج البلاغية في الإمتاع والمؤانسة

سوف نحاول في هذا الفصل أن نبين كيف تمنح البلاغة الخطاب الحجاجي بعدا إقناعيا. " فالأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية ، بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية ، ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية "[1].

وإذا تمعنا في كتاب " الإمتاع والمؤانسة " نجد استحواذ الصيغ والأساليب البلاغية على القسم الأكبر في المدونة ، لأن " التوحيدي " له قدرة على اللغة.

والخطاب الحجاجي البلاغي المراد تحليله في هذا القسم جاء مكتوبا ، ليحاول من خلاله " المتكلم " كسب تأييد المتلقي " القارئ " في قضية ما ، أو تحقيق إقناع ذلك المتلقي " القارئ " بإشباع مشاعره وبالتالي يتقبل القضية المطروحة، وهذا ما يجعل الخطاب الحجاجي البلاغي موجها إلى العقل والقلب معا ، لأن البلاغة لا تصل إلى الإقناع إلا بتوفر الحجج ، ولكن بشرط أن تكن حجج عقلية تزيل الشك وتحقق الإقناع.

وقد اتخذ الحجاج البلاغي في "الإمتاع والمؤانسة " على بنية واحدة ، إما باعتماده على حجة ونتيجة أي يبدأ باستعراض الحجج ومن ثم يصل إلى النتيجة أو العكس ، وقد تكون كذلك الحجج صريحة والنتيجة ضمنية أو العكس.

وسوف نقوم بتحليل بعض النماذج من كتاب " الإمتاع والمؤانسة "* ل " التوحيدي "** ، الذي استعمل مجموع من الآليات البلاغية الحجاجية كالتفريع ، والمقام ، وبعض الصور البيانية كالتشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية ، والجناس ، والشاهد والمثل ، والقياس الخطابي ، سوف نحللها ونبرز كيف عملت حجاجيا

---

[1] – صابر الحباشة : التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صفحات للطباعة والنشر ، سورية ، ط 1 ، 2008 ، ص 50

* يحتوي على ثلاثة أجزاء ، وأربعين سمرا يصف أخبار الحكماء ، وهو كتاب ممتع لما له من مشاركة في فنون العلم، فهو خاض كل بحر (ينظر وتيكي كميلة : كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة ، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2004 ، ص 55)

** ولد سنة 312 ه ببغداد ، توفي سنة 360 (ينظر وتيكي كميلة نفس المرجع ، ص 18)

1 – المقـــــــام :

لقد تكلم العرب القدامى عن قضية المقام وأسهبوا فيه* ، وسوف نحاول في هذا الفصل أن نتناول المقام من وجهة حجاجية.

وكتاب " الإمتاع والمؤانسة " نجد فيه هذا النوع من الآليات البلاغية ، وهذا راجع إلى طبعة ليالي " الإمتاع والمؤانسة " ، فالتوحيدي في كل ليلة يحاول استحضار مقام معين ، وهذا حسب ما تقتضيه الليلة ، أي ما يطلبه الوزير ، حتى يصل أبو حيان إلى المقاصد والأهداف الحجاجية التي يريدها. وسوف نحاول أن نقف على بعض الأمثلة وإبراز دور المقام في العملية الحجاجية.

– " قال شبيب بن شبة : إنا لوقوف في عرصة المربد – وهو موقف الأشراف ومجتمع الناس وقد حضر أعيان المصر – إذ طلع " ابن المقفع " ، فما فينا أحد إلا هش له، وارتاح لمساءلته ...، وأدّر للحديث فسارعنا إلى ذلك ، ونزلنا عن دوابنا في دار ابن برثن ، إذ أقبل علينا ابن المقفع ، فقال : أي الأمم أعقل ؟ فظننا أنه يريد الفرس ، فقلنا : فارس أعقل الأمم ، نقصد مقاربته ، ونتوخى مصانعته. فقال كلا ، ليس ذلك لها ولا فيها، هم قوم علموا فتعلموا ، ومثّل لهم فامتثلوا واقتدوا .... ، فقلنا له الروم ، فقال ليس ذلك عندها ...، قلنا فالصين ، قال : أصحاب أثاث وصنعة ...، قلنا فالترك ، قال سباع للهراش ، قلنا فالهند ، قال : أصحاب وهم ومخرقة... ، قلنا فالزنج ، قال : بهائم هاملة. فرددنا الأمر إليه ، قال : العرب..."[1].

نلحظ في هذا المثال أنه حوار جرى بين " ابن المقفع " و " شبيب بن شبة "ومن معه في قضية أي الأمم أعقل ؟ فقد قام " ابن المقفع " بطرح السؤال على الحاضرين معه وهو كما أسلفنا الذكر " شبيب بن شبة " وأصحابه.

---

* لقد أشرنا إلى قضية المقام عند بعض القدامى في الفصل النظري ورأينا كيف يضطلع بوظيفة حجاجية .

(1) أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ط1، 2003، ص 70

من خلال هذا الطرح ، نستخلص أن المقام في هذه القضية هو مقام علم ومعرفة وثقافة، وهذا راجع إلى طبيعة الأسئلة والأجوبة التي دارت بينهما.

" فابن المقفع " كما هو معروف يملك ثقافة واسعة ، وعقلا جيدا ، وله باع كبير في العلم والمعرفة والثقافة ، وله سمعته كذلك لاسيما عند العرب والفرس ، لذلك فمن الطبيعي أن يتحكم ويسيطر على الحوار ويوجهه بالوجهة التي يريد ، لذلك فهو الذي اختار السؤال على أي الأمم أعقل ليحدد الجواب الذي يريد.

ومن ثم فإن طرحه للأسئلة في هذا المجلس تكون لأصحاب العلم، لأن المقام يقتضي ذلك ، فمثلا الإنسان الجاهل لا يستطيع أن يتجاوب مع أسئلة " ابن المقفع ".

مادام أن المقام في هذا المجلس هو مقام علم ، فقد عني " ابن المقفع " بطرح مجموعة من الأسئلة وذلك لمعرفة آراء الجماعة في أي الأمم أعقل ومحاولة منه إقناعهم في الآن ذاته ، من خلال الأجوبة التي طرحت عنيه. وكما نلحظ أن الجماعة لم تناقشه في الأجوبة التي طرحتها ، فهم في كل مرة يحاولون أن يجدوا إجابة أخرى ، وهذا دليل كاف على أن رأي " ابن " المقفع هو السديد والصحيح دون أن تعرفه الجماعة بعد.

وكما أقر القدامى أن المقام هو انشغال بالمتلقي باعتباره الهدف .فنخلص أن " ابن المقفع " باعتباره المتكلم في هذا المقام أقنع المتلقي وهو " شبيب بن شبة " وأصحابه بأن العرب هم أعقل الأمم ، وذلك باستعراضه مجموعة من الحجج بغض النظر عن تبريرها وقيمتها لأن الأمر يتعلق بابن المقفع .

ربما في هذا المقام ، استطاع " ابن المقفع " أن يصل إلى أهدافه الحجاجية ، باعتباره صاحب مكانة عالية وعلم غزير ، حتى أصحاب المجلس يعترفون بذلك ، وهذا نفهمه من خلال كلام شبيب بن شبة حين قال : إذا طلع " ابن المقفع " فما فينا أحد إلا هش له وارتاح لمسائلته... ، من خلال هذا نستنتج أن " ابن المقفع " صاحب سلطة على المتلقي فلا يريد أن يعارض أحد رأيه ، لذلك استطاع في هذا المقام أن يصل إلى ما أراد وهو

العرب أعقل الأمم ، فكما نلاحظ أن " ابن المقفع " فارسي ولكنه يرفض أن تكون الفرس هي أعقل الأمم.

وهذا ما أراد أن يصل إليه " التوحيدي " ليقنع الوزير بأفضلية العرب على الفرس.

وهذا مثال آخر.

" وقال (أي الوزير) : تعال حتى نجعل ليلتنا هذه مجونية ، ونأخذ من الهزل بنصيب وافر ، فإن الجد قد كدنا ، وملأنا قبضا وكربا ، هات ما عندك.

قلت : قال حسنون المجنون بالكوفة يوما ، وقد اجتمع إليه المجان يصف كل واحد منهم لذّات الدنيا ، فقال أما أنا فأصف ما جربته ، فقالوا : هات . فقال : الأمن والعافية ، وصفح الصّلع الزرق ، وحكّ الجرب ، وأكل الرمان في الصيف والطلاء في كل شهرين و... والمشي بلا سراويل بين يدي من لا تحتشمه ، والعربدة على الثقيل ، وقلة خلاف من تحبه ..."[1].

فهذه الليلة التي دارت بين أبي حيان والوزير هي ليلة مجونية ، وذلك لطلب من الوزير لأبي حيان. وقد استجاب أبو حيان لهذا المطلب ، وهذا نلحظه من خلال المثال الذي قدمه على " حسنون المجنون ".

من هنا يمكن أن نعتبر أن المقام هو مقام هزل ومجون ، لأن الوزير طلب وأبو حيان استجاب ، فأبو حيان غيّر الوجهة ، وارتدى ثوبا آخر وهو المجون.

فأبو حيان أراد أن يقنع الوزير بأنه حاضر في كل مقام ، ونجده في هذا المقام قدم له هذا المثال الذي أوردناه ، والذي يمكن أن نعتبره حجة يريد أن يصل بها أبو حيان إلى نتيجة وهو دفع الملل والسأم عن الوزير استجابة له ، ويحاول كذلك أن يصل إلى مقاصد حجاجية أخرى.

فنخلص أن أبا حيان باعتباره المتكلم (هو الذي قدم أمثلة)، في هذا المقام يحاول إقناع المتلقي وهو الوزير ، ليصل إلى النتيجة التي يرغب فيها .

---

[1] - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 236

ففي هذا المقام يمثل الوزير السلطة ، وأبو حيان تحت هذه السلطة (يستجيب لمتطلبات الوزير) ، ولكن بدهائه وفطنته وعلمه الغزير يقنع هذه السلطة ، لأنه في هذا المقام راعى كل متطلبات الكلام وكل الظروف والأحوال ، حتى يستطيع التأثير في الوزير وإقناعه.

2- التفريع :

التفريع أو ما يسمى كذلك تقسيم الكل إلى أجزاء ، وهو " ذكر المرسل حجته كليا في أول الأمر ، ثم يعود إلى تعداد أجزائها ، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه "[1].

معناه أن المرسل يقوم بطرح قضية أو عرض أطروحة ، ثم يتوسع فيها بعرض مجموعة من الحجج ، وكل حجة من هذه الحجج تخدم هذه القضية أو الأطروحة.

ونجد كثيرا " أبا حيان " في كتابه الإمتاع والمؤانسة كثيرا ما يعرض فكرة أو أطروحة، ثم يجزئها إلى أجزاء ، حتى يقنع المرسل إليه ، لأن كل جزء هو بمثابة حجة. وسوف نعرض بعض الأمثلة.

- لقد سأل الوزير أبا حيان التوحيدي عن حديث أبي سليمان فيه

" ... وقد عمل رسالة في وصفك ذكر فيها ما آتاك الله وفضلك، من شرف أعراقك ، وكرم أخلاقك وعلو همتك ، وصدق حدسك وصواب رأيك ، وبركة نظرك ، وظهور غنائك ، وخصب فنائك ، ومحبة أوليائك ، وكمد أعدائك ، وفصاحة لسانك ، ونبل حسبك ، وطهارة غيبك ..."[2].

فهذه القضية التي طرحها المتكلم جزءها إلى عدة أجزاء ، فكل جزء من هذه الأجزاء يدعم هذه القضية ، بمعنى آخر يمكن أن نعتبر القضية المطروحة بمثابة النتيجة ، وكل جزء هو بمثابة حجة يخدم هذه النتيجة.

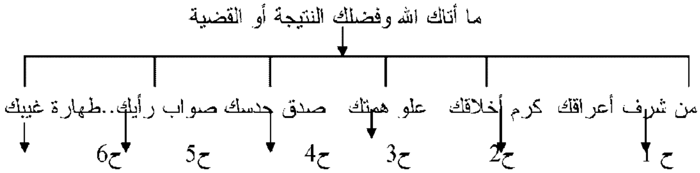
---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص 494

(2) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 36

فهذه الحجج بمجملها تخدم نتيجة من قبيل " ما أتاك الله وفضلك " وهذه للمكانة العالية التي يحضى بها الوزير بالنسبة لواصفه أبي سليمان.

ويمكن أن نمثلها على النحو التالي :



وسنورد مثالا آخر ، و ذلك من عرض التوحيدي لأطروحة " ديوجانس " في نصه " متى تطيب الدنيا "

" وقيل له : متى تطيب الدنيا ؟ قال إذا تفلسف ملوكها وملك فلاسفتها، فقال الوزير : أسعده الله .... لأن الفلسفة لا تصح إلا لمن رفض الدنيا وفرّغ نفسه للدار الآخرة ، فكيف يكون الملك رافضا للدنيا وقاليا لها ، وهو محتاج إلى سياسة أهلها والقيام عليها باجتلاب مصالحها ونفي مفاسدها ، وله أولياء يحتاج إلى تدبيرهم وإقامة أبنيتهم والتوسعة عليهم ... ، ولعل قائلا يظن هذا ممكنا ، ويكون الملك واعيا في الحكمة بالدعوى ، وقائما بالملك عن طريق الأولى .."[1].

فقد عرض التوحيدي هذه الأطروحة التي تقر أن صلاح الدنيا لا يتحقق إلا بالتلازم بين الفلسفة والسلطة (الملك) ، وتوسع الوزير بتدعيمها بعرضه مجموعة من الحجج من قبيل : الفلسفة لا تصح إلا لمن رفض الدنيا وفرّغ نفسه للدار الآخرة ، وكذلك الملك لا يرفض الدنيا وهو محتاج إلى سياسة أهلها ، وكذلك الملك يكون واعيا في الحكمة

[1] – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 222

بالدعوى ، وقائما بالملك عن طريق الأولى إلى غيرها من الحجج التـــي تخـــدم هـــذا الطرح وتدعمه. فأبو حيان طرح هذه القضية (ديوجانس) ، ربما ليبين ويقنع الوزير أن الملك يجب أن يستنير بآراء الفلاسفة والعقلاء .

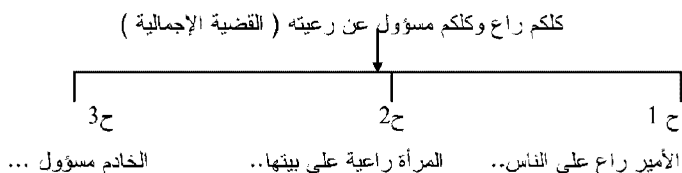
ونجده قد عرض كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.

" قال الرسول صلى الله عليه وسلم : كلكم راع ومسؤول عن رعيتـــه ، فـــالأمير راع على الناس وهو مسؤول أقام أمر الله فيهم أم ضيّع ، والمرأة راعية على بيتها وما وليـــت من زوجها ، ومسؤولة عنهم أقامت أمر الله فيهم أم ضيعت ، والخادم مسؤول عـــن مـــال سيده ، أقام أمر الله فيه أم ضيع "[1].

فحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، اعتمد على عرض أطروحة وقضية كلكـــم راع ومسؤول عن رعيته (وهي القضية الإجمالية للحديث) ، ثم توسع فيهـــا بتفريـــع هـــذا الطرح، وفرعها إلى الأمير والمرأة والخادم.

فكل جزء من هذه القضية يخدمها ويدعمها ، فكل جزء هو حجة لهذا الطرح.

ويمكن أن نمثلها على هذا النحو :



فلو حذفنا حجة من هذه الحجج ربما تضعف قوة الحديث النبوي الشريف ، لأنه بكثـــرة الحجج يكون التدعيم أجلى والإقناع أوفى.

---

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 273

3- التـــشـــــبيـــــه :

يمكن أن نعتبر التشبيه من آليات الحجاج البلاغي ، الذي اعتمده التوحيدي في الإمتـــاع والمؤانسة ، فهو يأتي على شكل نتيجة مدعم بواسطة مجموعة مـــن الحجـــج ، أو يـــأتي كحجة ليدعم النتيجة التي تكون صريحة(خالية من التشبيه).

يقول التوحيدي أثناء وصفه لابن مكيخا : " هو رجل نصراني أرعن خسيس ، ما جاء يوما بخير قط لا في رأي ولا في عمل ولا في توسط ، أصحابنا يلقبونه بقفا وهو منهمـــك بين اللذائد ، همه أن يتحسى دنّ الشراب في نفس أو نفسين ، ثم يسقط كالجدع اليـــابس لا لسان ولا إنسان "[1].

ويمكن أن نمثل هذا القول بالشكل التالي :

النتيجة : يسقط كالجدع اليابس لا لسان ولا إنسان.

ح1 : ما جاء يوم لا في رأي ولا في عمل .

ح2 : أصحابنا يلقبونه بقفا وهو منهمك بين اللذائذ.

ح3 : همه يتحسى دن الشراب في نفس أو نفسين.

هذه النتيجة جاءت على شكل تشبيه ، فهي لا تقنع وحدها ما لـــم تســـتند إلـــى حجـــج تدعمها، فالأعمال الدنيئة والخسيسة التي يقوم بها هذا الرجل جعلته كجدع الشجرة اليابس الذي لا يقدم أي منفعة ، فهو خرج من عالم الإنسانية إلى عالم آخر ، فالحجج جاءت قبل النتيجة ليكون تدعيم النتيجة أكثر.

وهذا مثال آخر

" قال متى : ...أعني به (المنطق) أنه آلة من آلات الكلام يعرف بها صحيح الكـــلام من سقيمه ، وفاسد المعنى من صالحه ، كالميزان فإني أعرف به الرجحان من النقصان

---

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 48

والشائل (المرتفع) من الجانح (المائل)..."[1]

النتيجة : المنطق كالميزان

ح1 : يعرف به صحيح الكلام من سقيمه

ح2 : وفاسد المعنى من صالحه

من خلال هذا الكلام أراد " متى " أن يقنع "السيرافي " بأن المنطق ضروري في الكلام وهو آلة من آلاته ، لأن بفضل المنطق نستطيع أن نزن كلامنا ، فهو بهذا التشبيه والذي ورد على شكل نتيجة ، شبه المنطق بالميزان الذي يعرف به الرجحان من النقصان...

فهاتان الحجتان جاءتا مكملتين للصورة التشبيهية ، التي لا تقنع وحدها ، فبوجود هاتين الحجتين جعلتا المنطق كالميزان.

ففي المثالين السابقين جاء التشبيه نتيجة ، والحجج جاءت صريحة لتدعم هذا الطرح وتزيد في قوته الحجاجية.

والآن سوف نورد بعض الأمثلة عندما يكون التشبيه في الحجج والنتيجة صريحة.

– وقال ابن طرارة (وهذا أثناء حديثه عن شرف النثر على النظم) " ...النثر كالحرة، والنظم كالأمة ، والأمة قد تكون أحسن وجها ، وأدمث* شمائل ، إلا أنها لا توصف بكرم جوهر الحرّة ولا بشرف عرقها وعتق نفسها وفضل حيائها"[2].

وتكون على هذا النحو :

النتيجة : شرف النثر على النظم.

ح1 : النثر كالحرة.

ح2 : النظم كالأمة.

فتشبيه النثر بالحرة (توصف بالكرم وشرف العرق ...) ، والنظم بالأمة (تكون أحسن وجها وأدمث شمائل) ،فمهما يكن من صفات حميدة تتميز بها الأمة إلا أنها لا

---

[1] – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص100

* سهل الخلق وهو دميث والجمع دماث

[2] – المرجع نفسه ، ص 301

يمكن أن تصل إلى صفات الحرة ، وذلك ليبرر حكمه ويقنع بأن النثر أشرف من النظم ، وله مكانة كبيرة إذا ما قورن بالنظم ، وقد أورد هذه الحجج علـــى شـــكل تشـــبيه لأن الصور البيانية المجازية تكون أقوى حجاجيا من الأقوال العادية.

وهذا مثال آخر :

- " فأما مرتبته (أي العقل) فقد وضح بأنه كالشـــمس ، تطلـــع فتحيـــي ، وتضـــيء فتنفع"[1].

فهنا جاءت الحجة تشبيها ، والنتيجة جاءت مضمرة من قبيل أن العقل هو الذي يهـــدي الإنسان في كل تصرفاته .

فقد أراد أن يقنع بأن ضرورة العقل للإنسان كضرورة الشمس للأرض ، فالعقل يفيـــد الإنسان في كل تصرفاته ، والشمس تفيد كل الكائنات الحية بضيائها ...

4 - التـــــمـــــثـــــيـــــل : (التشبيه التمثيلي)

وقد جاء عند " الإمام القزويني " في كتابه " الإيضاح في علوم البلاغة " أن " التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور "[2].

إذن فيكون " هيئة حاصلة من عدة أمور ، سواء كان الطرفان مفردين أو مركبين ، أو كان أحدهما مفردا والآخر مركبا ، وهو بذلك محتاج إلى ضرب من التأمـــل والتأويـــل ، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل "[3].

وهو من حيث قدرته البلاغية قادر على الاستمالة والتأثير في المخاطبين ، كمـــا قـــال "الجرجاني " في " أسرار البلاغة " : " التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي

---

[1] - أبوحيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 379

[2] - أبو العلاء جلال الدين الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، راجعه عماد بسيوني زغلول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، ص 142

[3] - د.بن عيسى باطاهر : البلاغة العربية ، مقدمات وتطبيقات ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2008 ، ص 227

باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا ، فإذا كان مدحا ، كان أبهى وأفخم ... ، وإذا كان ذما كان مسه أوجع وميسمه ألذع ....، وإن كان حجاجا ، كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر وبيانه أبهر "[1].

كما رأى " برلمان " أيضا أنه مهم في العملية الحجاجية يقول : " هو طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك ، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة "[2].

نجد أن التمثيل يرفد العملية الحجاجية عند البلاغيين القدامى والغرب المحدثين ، وسوف نحاول أن نقدم بعض النماذج على هذا النوع من كتاب " الإمتاع والمؤانسة "

ويمكن أن نعطي هذا المثال :

– وقال التوحيدي : " قال : " وهيب بن الورد " : " مثل عالم السوء كمثل الحجر يقع في الساقية ، فلا هو يشرب الماء ، ولا يخلي عن الماء فيذهب إلى الشجرة "[3]

وهذا التمثيل أورده " التوحيدي " عن " وهيب بن الورد " وهو من أصحاب النسك والزهد.

فهذا التمثيل صور فيه " المتكلم " عالم السوء بالحجر الموجود في الساقية .

فالحجر لا يقدم لنفسه منفعة فهو لا يشرب الماء ، ولا يقدم لغيره منفعة (لا يجعل الماء يذهب إلى الشجرة.

(1) – عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، ص 85 – 86

(2) PERLMAN : Traité De L' argumentation P50 , نقلا عن : عبد السلام عشير عندما نتواصل نغير ، ص 97

(3) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 292

فهكذا عالم السوء فهو لا يقدم لنفسه ولا لغيره منفعة.

فهنا المتكلم بهذا التمثيل أراد أن يقنع ويوصل للمتلقي ما لعالم السوء من ضرر على نفسه وعلى غيره.

وهذا مثال آخر :

قال التوحيدي : " قال أفلاطون : مثل الحكيم كمثل النملة تجمع في الصيف للشتاء ، وهو يجمع في الدنيا للآخرة "[1].

فهذا القول أورده " التوحيدي " عن " أفلاطون " رجل الحكمة والفلسفة ، وهو كما نرى جسده في تمثيل حيث مثل الرجل الحكيم بالنملة ، فهذه الأخيرة تجد وتعمل وتكد في الصيف لتخزن وتنام هنيئة في الشتاء ، هكذا بالنسبة للحكيم فهو بحكمته وآرائه الجليلة والصائبة التي يقدمها للمجتمع في الدنيا بدون مقابل فهو يتقاضى هذا المقابل في الآخرة .

فهنا المتكلم يريد أن يصل إلى نتيجة مفادها أنه من جد وجد ومن زرع حصد ومن سار على الدرب وصل.

وهذا مثال آخر :

-وقال التوحيدي : " قال فيلسوف : إذا نازعك إنسان فلا تجبه ، فإن الكلمة الأولى أنثى وإجابتها فحلها ، وإن تركت إجابتها بترتها وقطعت نسلها ، وإن أجبتها ألقحتها فكم من ولد ينمو بينهما في بطن واحد "[2].

فهذا القول يوضح أنه لا يجب على الإنسان الإجابة عند المنازعة لأنه عندما تجيب عن المنازعة فإنه شبيه بعملية التكاثر ، فعن السؤال والجواب يكون هناك تكاثر في الأسئلة والأجوبة.

فكما نرى أن هذا القول يجسده التشبيه التمثيلي حيث صور فيه " المتكلم " صورة المنازعة التي تنتج وتتكاثر من خلال الأسئلة والأجوبة بالتزاوج والتلاقح بين

الذكر والأنثى وما ينتج عنه من ولادة وتكاثر.

---

(1) أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 231

(2) - المرجع نفسه ، ص 232

فالمتكلم في هذا التمثيل يحاول أن يصل إلى مراميه الحجاجية ومحاولـــة التـــأثير فـــي المتلقي بأنه لا يجب الخوض في المناعات والإجابة عليها ، ويدعو إلى الحـــذر مـــن رد الإساءة بمثلها.

5- الكنـــــــــايـــــــــة :

كلام "التوحيدي " يستعمل أو يوظف التكنية أكثر من الإظهار ، فهو يلجأ إلـــى هـــذه الآلية ، لكي يصل بسهولة إلى إفهام السامع وتقريبه من طروحاته ، بغية إقناعه ، كـــذلك ليحرك آليات الفهم والتأويل لدى المتلقي.

ومن أمثلة ذلك في " الإمتاع والمؤانسة " مايلي :

- " تغدّى أبو العيناء عند ابن مكرٍّم ، فقدم أليه عراقا* فلما جسّه قال قدركم هـــذه قـــد طبخت بشطرنج "[1].

هذه العبارة مبنية على كناية ، فقد شبه العظام المطبوخة ببيادق الشطرنج في يبوستها. وهذا دليل على البخل الشديد الذي يتصف به " ابن مكرم ".

قدركم هذه قد طبخت بشطرنج حجة تفضي إلى نتيجة البخل الشديد الذي يتميز به " ابن مكرم "

" فأبو العيناء " أورد هذه الحجة على شكل كناية ليصل إلى أهدافه الحجاجية ، وتقريب المتلقي إلى أطروحته بهدف إقناعه ، وحتى يجعل المتلقي يكتشفها وذلك بتأويلها ، ومتى ما اكتشفها ربما يقر بصحة الأطروحة ، وهذا ما يطمح فيه المتكلم.

و قد أورد " التوحيدي "هذه الكناية وهي " البخل الشديد الذي يتصف به " ابن مكرم " ، ليصل إلى نتيجة شاملة وهذا ما أراد التوحيدي أن يصله من جهة ويقنع الوزير من جهـــة وهو "بخل العرب ".

* العراق : العظم الذي أخذ ما عليه من اللحم
(1) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 413

وهذا ما جعل الوزير يقول " صدق القائل في العرب : منعوا الطعامِ وأعطوا الكلام "[1] فربما قال هذا الكلام لاقتناعه بالكناية التي أوردها التوحيدي أثناء حديثه عن بخل " ابن مكرم ".

وهذا مثال آخر :

– " وقال المدائني بإسناده عن عبد الرحمان بن حوشب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن الأهتم التميمي : أخبرني عن الزبرقان بن بدر ، فقال : ... أما والله يا رسول الله إنّه لزمر* المروءة (قليل المروءة) ، ضيق العطن** ، لئيم الخال ، و أحمق الوالد "[2].

من خلال هذا الكلام أراد " عمرو " أن يخبر الرسول الكريم بأن الزبرقان رجل دميم وسيء الخلق ، وذلك من خلال الحجج التي أوردها والتي جاءت على شكل كناية. ويمكن أن نمثلها على هذا الشكل :

ح1 : قليل المروءة.

ح2 : ضيق العطن.

ح3 : لئيم الخال ، وأحمق الوالد.

النتيجة : الزبرقان سيء الخلق وذميم .

فالحجة الأولى جاءت صريحة وهي أن الزبرقان قليل المروءة ، في حين الحجة الثانية جاءت على شكل كناية وهي كناية عن الفقر الشديد الذي يعيشه هذا الرجل ، أما الحجة الثالثة والتي وردت كذلك على شكل كناية ، ربما تكون هي أقوى الحجج وهي كناية عن خسة الأصل والنسب ، لأن خسة الأصل والنسب في بعض الأحيان هي التي تعرفك على المرء.

---

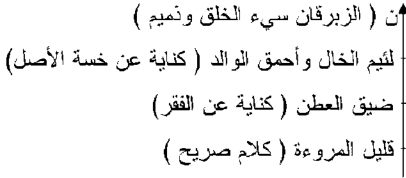
(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 413

* قليل المروءة

** مبرك الإبل

(2) – المرجع نفسه ، ص 484

ويمكن أن نمثلها على شكل سلم حجاجي



فترتيبنا للحجج على هذا الشكل لأن الحجة الأولى جاءت على شكل كـــلام صـــريح ، ونحن كما نعرف أن الكلام الصريح والعادي يكون أضعف حجاجيا من الكلام المجـــازي، أما الحجة الثانية وهي كناية عن الفقر (وهو كلام مضمر) ، لا يعبر دائما عـــن ســـوء الخلق والدماثة ، أما الحجة الثالثة وهي كناية عن خسة الأصل (كـــلام مضـــمر) ، لأن المرء يقاس بحسن خلقه وخسة خلقه إذا نظرنا إلى نسبه ، لذلك أوردناها في أعلى درجة في السلم الحجاجي.

وكل هذه الحجج لجأ إليها " عمرو " ليقنع الرسول الكريم بســـوء خلـــق " الزبرقـــان " وخساسته.

وهذا مثال آخر :

قال: " إن أصحابها (أصحاب الفلسفة) طولوا وهولوا وطرحوا الشوك في الطريق "[1]

هذا القول مبني على كناية فقد حاول من خلالها المتكلم أن يبين الصعوبات أمـــام مـــن يريد أن يسير في طريق الفلسفة.

فقد أورد هذه الحجة عن طريق اللبس (كناية) حتى يصل إلى مقاصـــده الحجاجيـــة ، وحتى يجعل المتكلم يغوص أكثر في باطنها ويكتشفها عن طريق اللامباشرة .

---

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 96

ويمكن أن نورد كلامه بالشكل التالي :

الحجة : طرحوا الشوك في الطريق وهي كناية عن إلقاء الصعوبات أمام من يحاول السير في طريق الفلسفة والمنطق

النتيجة : لأنهم اتخذوها أي الفلسفة معيشة لهم ومكسبة لرزقهم . لذلك فهم يطرحون الشوك في الطريق أمام من يحاول السير فيها.

6- الاستعارة :

لقد تحدثنا عن الاستعارة الحجاجية في الفصل النظري ، وأوردها الباحثون في المقام الأول في الحجاج ، لأن المرسل يلجأ إليها لتحقيق أهدافه ، وإذا عدنا إلى " الإمتاع والمؤانسة "، فإننا نجده يتوفر على هذه الآلية الحجاجية. وسوف نقوم بتحليل بعض النماذج. كما سنربط الاستعارة بالقوة الحجاجية والسلم الحجاجي.

فلو قلنا مثلا رأيت شمسا (قول استعاري) ، ورأيت إنسانا جميل المحيا (قول عادي) فالملاحظة البسيطة كافية لان تبين أن القول الاستعاري سيرد في أعلى درجة السلم بالمقارنة مع القول الآخر ، ويفسر كذلك بأن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية.[1]

وفي قول " التوحيدي " :

- قال فيلسوف : " ما أكثر كم ظن أن الفقير هو الذي لا يملك شيئا كثيرا وهذا فقير من جهة العرض ... ، كما أن الغني الطبيعي لا يحتاج إلى شيء وإن كان قليل المال ، أي الذي ملك نفسه وقمع شهواته وأخمد لهب إرادته"[2]

يحتوي هذا القول على استعارتين حجاجيتين، جاءتا في هذا القول على شكل حجج لتدعيم الطرح أو النتيجة.

---

(1) - ينظر : أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص 102

(2) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 267

ح1 : قمع شهواته .

ح2 : أخمد لهب إرادته.

النتيجة : الغني الطبيعي.

فالحجة الأولى حجة قوية تدعم الطرح أو النتيجة والتي جاءت على شكل استعارة وهي يجب على الإنسان التغلب على شهواته وغرائزه ببذل جهد كبير حتى لا يقع في الفاحشة. أما الحجة الثانية وهي كذلك استعارة تصور إرادة السوء نار في نفس صاحبها، يجب عليه إخمادها.

لجأ المتكلم في هذا القول إلى استعمال الاستعارة لأنها أقوى حجاجيا من الأقوال العادية، ،فقد حاول أن يبلغ مقاصده الحجاجية ، والمتمثلة في محاولة إقناع المتلقي بأن الغنى لا يقاس بالمال ،والغني الحقيقي ليس الذي يملك الأموال الكثيرة، بل الغني الحقيقي هو الذي يتغلب على نفسه البهيمية (البطن ، الفرج..) ، والغضبية (التجبر ، الغضب..)

فتم التعبير عن الغنى الحقيقي والطبيعي بأشياء محسوسة وليس بأشياء مادية.

ويمكن أن نمثل هاتين الاستعارتين على النحو التالي :



نلاحظ هنا أن الأقوال الاستعارية أقوى حجاجيا من الأقوال العادية ، لذلك توسل بها المتكلم في بلوغ أهدافه.

وفي قول " أبي حيان " :

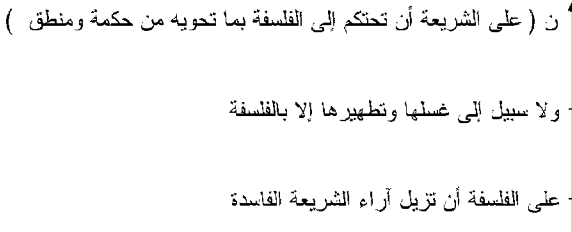
– "... وذلك أنهم قالوا الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولاسبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة "[1].

ففي هذا القول احتج الجماعة* باستعارة وهي " لا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة "، ليصلوا إلى نتيجة من قبيل أن " على الشريعة أن تحتكم إلى الفلسفة لأنها تحوي الحكمة والمنطق والآراء الصحيحة ".

فلجأت الجماعة إلى القول الاستعاري بدل العادي لأن القول الاستعاري أقوى حجاجيا من القول العادي ، فلو عبروا عن هذا القول بكلام عادي " الفلسفة تزيل الآراء الفاسدة عن الشريعة " ، لما كانت لهذا الكلام قوة حجاجية ، وما وصلوا إلى إقناع المتلقي ، وبالتالي ما وصلوا إلى دعم النتيجة أو الطرح الذي أرادوا أن يصلوه.

الغسل والطهارة تزيلان الدناسة والأوساخ للإنسان ، أما الفلسفة فتزيل الآراء الفاسدة التي لصقت بالشريعة من جراء الضلالات والجهالات.

ويمكن أن نمثل هذا القول بواسطة سلم حجاجي :



نلاحظ أن القول الاستعاري ورد في أعلى درجات السلم الحجاجي ليدعم النتيجة أكثر.

---

[1] – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 201

* هي جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ، وضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله

7 – الإيـــــــــــــجــــــــاز :

لقد أشار البلاغيون القدامى* إلى أهمية الإيجاز ودوره الفعال في العملية الحجاجيــة ، كما أشار إليه " روبول " أيضا حين قال : " الإيجاز هام من زاوية تعنى بالحجــاج لأنــه يشكل سلاحا نواجه به العدوين القاتلين ، النسيان وعدم الإنتباه ، فالتطويل فـــي الوصــف والتصور والإسهاب في الشرح والتعليل ينتهيان بالمتلقي إلى الملل فتضعف قدرته علــى الانتباه ولا يحتفظ من القول إلا بأقله ، وحتى هذا القليل معرض إلى النسيان لبعــده عــن الإيجاز "[1].

وقد أورد " التوحيدي " هذه الآلية البلاغية في بعض لياليه حتى لا يكون كلامه مملا ، ومن ثم قدرته على استمالة الوزير والتأثير فيه. وسوف نقدم بعض النماذج.

– قال : " فأما بلاغة الشعر فأن يكون نحوه مقبولا ، والمعنى من كل ناحية مكشــوفا ، واللفظ من الغريب بريئا ، والكناية لطيفة ، والتصريح احتجاجا "[2].

فهنا تجسد الإيجاز في الحجج التي قدمها " المتكلم " لتدعيم الطرح.

النتيجة : بلاغة الشعر

ح1 : نحوه مقبولا ، ح2 : والمعنى من كل ناحية مكشوفا ، ح3 : اللفظ من الغريــب بريئا ، ح4 : الكناية لطيفة ، ح5 : التصريح احتجاجا .

فكل حجة استعملها " المتكلم " هي اختصار لجمل وأقوال كثيرة ، فربما اختصر وأوجز ليقنع المتلقي من ناحية ولا يدفعه إلى الملل ، ويفسح له مجالا كبيرا للتوسع فـــي تأويــل وشرح هذه الحجج من ناحية أخرى ، ليقنع نفسه بنفسه.

---

* لقد أشرنا في الفصل الأول إلى دور الإيجاز عند القدامى في العملية الحجاجية

(1) – أوليفي روبول : هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي ، نقلا عن سامية الدريدي : الحجاج في الشعر ، ص 123

(2) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 306

8 – **الطباق والجناس :**

إن المحسنات البديعية هي الأخرى يمكن أن تؤدي الوظيفة الحجاجية ، يقول " صابر الحباشة " في كتابه " التداولية والحجاج " : " إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله ، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر ، يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة ، وعلى العكس من ذلك ، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب ، فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة ، أي باعتباره محسّن أسلوب ، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع "[1].

إذن هناك نوعان من المحسنات ، محسنات تزيينية زخرفية متعلقة بالأسلوب وهناك محسنات حجاجية متعلقة بالإقناع .

ونجد " التوحيدي " قد استعمل هذه المحسنات كآلية بلاغية حجاجية ، أي من أجل محاولة التأثير في المخاطب واستمالته وإقناعه. وسوف نقتصر على الطباق والسجع لأنهما يقومان بدور مهم في العملية الحجاجية.

– الطباق : لقد أورد " التوحيدي " الطباق لغاية حجاجية.

قال " أبو سليمان : " ... وكل هذا راجع إلى نسبة صحيحة أو فاسدة ، وصورة حسناء أو قبيحة ، وتأليف مقبول أو ممجوج ، وذوق حلو أو مر ، وطريق سهل أو وعر ، واقتضاب مفضل أو مردود ، واحتجاج قاطع أو مقطوع ، وبرهان مسفر أو مظلم ، ومتناول بعيد أو قريب ، ومسموع مألوف أو غريب "[2].

بنيت هذه الفقرة على شكل ثنائيات ، وهذه الثنائيات جاءت على شكل المزاوجة بين الأضداد ، وهذا ما يسمى بالطباق ، فهنا لجأ إليه " المتكلم " من أجل تدعيم الطرح ، ويمكن أن نعتبر كل ثنائية بمثابة حجة.

---

(1) صابر الحباشة : التداولية والحجاج : ص 51

(2) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 304

ح1 : صورة حسناء أو قبيحة ، ح2 : تأليف مقبول أو ممجوج ، ح3 : ذوق حلــو أو مر ، ح4 : طريق سهل أو وعر ، ح5 : اقتضاب مفضل أو مــردود ، ح6 : احتجــاج قاطع أو مقطوع ، ح7 : برهان مسفر أو مظلم ، ح8 : متناول بعيد أو قريب.

النتيجة : تباين واختلاف الشعراء في التعبير عن الأفكار

لقد ركز " المتكلم " على هذا المحسن ، ليس لغرض زخرفة وتنميق القول ، بــل مــن أجل بلوغ غاياته الحجاجية.

فلقد دعم هذا الطرح بتوظيف مجموعة من الحجج (ساقها على شكل طباق) ، ليبــرز ويقنع المتلقي بأن الشعراء ليست لهم نفس الأفكار ونفس الدرجة ، بل لكل شاعر أفكاره ، ولكل شاعر إبداعه.

وهذا مثال آخر :

- قال : " فيجب على الحصيف والمميز أن يعلم بأن العالم أشرف في سنخه وعنصره ، وأوله وآخره ، وسفره وحضره ، شهادته ومغيبه "[1].

فقد أورد " المتكلم " الحجج على شكل طباق.

ح1 : سنخه وعنصره.

ح2 : أوله وآخره .

ح3 : سفره وحضره

ح4 : شهادته ومغيبه.

النتيجة : العالم أشرف من صاحب المال .

فهنا وظف " المتكلم " الطباق ليصل إلى أهداف الحجاجية وهو إقناع المتلقي بأن العالم أشرف من صاحب المال .

---

[1] - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 235

السجع : وقد استعان به " التوحيدي " في بعض أقواله لغاية حجاجية ، وليس لغاية جمالية.

قال "التوحيدي " : " وهذا بيان نافع في كذبهم ، وإنما جاؤوا إلى وهي فرقعوه ، وإلى حرام بالعقل فأباحوه ، وإلى خبيث بالطبع فارتكبوه ، وإلى قبيح بالعادة فاستحسنوه "[1].

اعتمد " المتكلم " على تدعيم طرحه بحجة أوردها على شكل سجع ليقنع المتلقي (وهو الوزير ضمنيا) ، بأن الفطرة التي فطر بها الفرس هي خاطئة ، واستدل له كذلك بحجج عقلية ، وهي : العقل ، الطبع ، العادة .

وقد أورد هذا ليصل إلى إقناع الوزير بأن العرب أفضل من الفرس بالطبع .

وهذا مثال آخر :

– قال* : " ومن شرفه أيضا أن الوحدة فيه أظهر ، وأثرها فيه أشهر ... ، كما أنه إلهي بالوحدة ، طبيعي بالبدأة "[2].

فهنا جاءت الحجج مسجوعة ليبين ويقنع المتلقي بأن النثر أشرف من النظم.

ح1 : الوحدة فيه أظهر ، وأثرها فيه أشهر .

ح2 : إلهي بالوحدة طبيعي بالبدأة.

النتيجة : شرف ومحاسن النثر على النظم.

قال " السلامي " : " ومن فضائل النظم أن صار صناعة برأسها ، وتكلم الناس في قوافيها ، وتوسعوا في تصاريفها ...، واجتلاب الطرب وتفريج الكرب ... ، وإثارة الهزة وإعادة العزة "[3].

فالسجع الذي أورده " السلامي " هاهنا ليقنع بأن النظم أشرف من النثر ، وقد استعمل هذه الحجج المسجوعة ، ليدعم النتيجة المتوخاة منه.

---

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 86

* راو مناصر للنثر، وربما يكون التوحيدي ضمنيا

(2) المرجع نفسه ، ص 300

(3) – المرجع نفسه ، ص 302

ح1 : صار صناعة برأسها ، وتكلم الناس في قوافيها ، وتوسعوا في تصاريفها

ح2 : اجتلاب الطرب وتفريج الكرب

ح3 : إثارة الهزة وإعادة العزة.

النتيجة : شرف النظم على النثر.

9 - القياس الخطابي :

القياس الخطابي يقوم على الاحتمال من ناحية وعلى الإضمار من ناحية أخرى ، فهو " آلية من آليات الذهن البشري ، تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما للوصول إلى استنتاج ما ، بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك ، بناء على أن القياس يقوم على التجربة ، التي ينطلق منها المتكلم لتشكيل صورة استدلالية "[1].

إذن " فالقياس الخطابي هو قياس مضمر يقوم على الاحتمالات "[2].

لهذا فالمتكلم عادة ما يخفي المقدمتين ويظهر النتيجة ، أو يظهر المقدمتين ويخفي و لاسيما في الأقوال العادية والأقوال المجازية. وعلى هذا فهو يستعمل كآلية من آليات الحجاج. وسوف نقوم بعرض بعض النماذج وكيف عملت حجاجيا.

يقول التوحيدي :

قال " ابن المقفع " : " الفرس قوم علموا فتعلموا ومثل لهم فامتثلوا ، واقتدوا وبدئوا بأمر فصاروا إلى اتباعه ، ليس لهم استنباط ولا استخراج ... ، وقال : إن العرب ليس لها أول تؤمه ولا كتاب يدلها ، أهل بلد قفر ، احتاج كل واحد منهم في وحدته إلى فكره ونظره وعقله ... كل واحد يصيب ذلك بعقله ، ويستخرجه بفطنته وفكرته..."[3].

---

(1) - عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير ، ص 91

(2) محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص 77

(3) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 70

من خلال هذا الكلام يمكن أن نستخرج القياس التالي :

المقدمة الأولى : الفرس قوم علموا فتعلموا ... (الفرس تكتسب هذه الأمور من أمم أخرى ، فهي عقل مكتسب)

المقدمة الثانية : العرب لها الفطنة والعقول العارفة ... (العرب لا تكتسب هذه الأشياء، بل موجودة فيها بالفطرة ، فهي عقل فطري)

النتيجة : الفرس ليست أعقل الأمم ، لأنها تكسب من الأمم الأخرى ، إذن فالعرب هي أعقل الأمم بالفطرة.

وهذا ما أراد أن يصل إليه " ابن المقفع " والتوحيدي ضمنيا ، بأن العرب هم أعقل وأفضل الأمم .

- وكذلك يمكن أن يكون القياس في الأقوال المجازية ، ونحن كما نعلم أن الأقوال المجازية تكون أقوى حجاجيا من الأقوال العادية.

يقول " التوحيدي " : " قال يحي بن معاذ : الدنيا خمر الشيطان ، فمن سكر منها لم يفق إلا في مسكن النادمين "[1].

إذا أوردنا هذا التشبيه على شكل قياس ننتهي إلى مايلي :

المقدمة الأولى : الدنيا تعمي بصيرة النفس لانغماسها في الملذات

المقدمة الثانية : الخمر يذهب العقل

النتيجة : الدنيا خمر

فهنا حذف المقدمتين وأبقى على النتيجة

هنا يحاول أن يقنع ويؤكد ، بأنه من ينغمس في ملذات الدنيا يصعب عليه الخروج منها، فقد شبه الدنيا بالخمر ليبرز أثرها على نفوس الناس ، معناه تعمي بصيرة النفس من

ملذات الدنيا ، فإذا انغمس فيها الإنسان لم يستفق كالخمر فإذا سكر الإنسان فإن عقله يزول .

---

[1] - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 295

فهنا حاول أن يبرز بالتشبيه أنه من سكر بالدنيا كمن سكر بالخمر ، الأولى تذهب بصيرة النفس ، والثانية تذهب العقل.

وهذا مثال آخر :

- يقول "التوحيدي " : " أنشد ابن عبيد الكاتب يقول :

العلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر "[1].

فهذا البيت الشعري ، إذا غصنا في باطنه نجد فيه قياس

المقدمة الأولى : العلم ينير ويهدي صاحبه.

المقدمة الثانية : القمر ينير ويهدي الحائرين في الظلام

النتيجة : العلم نور

فهنا شبه العلم الذي يهدي صاحبه بالقمر الذي يضيء الظلام.

وهذا القياس يحاول " المتكلم " من ورائه أن يشير إلى ضرورة العلم وأهميته في الحياة ، فهو الذي يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور.

---

(1) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 418

10 – الشاهد والمثل :

والآن سوف نحاول أن نقدم الشاهد والمثل باعتبارهما من الحجج القوية والحجج الجاهزة التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه وأغراضه الحجاجية.

وقد اعتمد " التوحيدي " هذا النوع من الحجج باعتبارهما يحملان قوة حجاجية عالية يستطيع من خلالها إقناع الوزير.

– الشاهد :

الشاهد عند " أرسطو " هو بمثابة القوانين والشهود ، والاعترافات وأقوال الحكماء ، أما في الخطابة العربية تضمين الآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم ، وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها "[1].

لقد حفل كتاب " الإمتاع والمؤانسة " بمجموعة كبيرة من الشواهد ، وقد تنوعت واختلفت ، وذلك حسب طبيعة الليلة وما تقتضيه من شواهد ، من بينها الآيات القرآنية والحديث النبوي ، وأقوال الصحابة والتابعين ، وأقوال الحكماء وبعض التابعين ، وسوف نقوم بعرض بعض الشواهد وكيف لعبت دورها في عملية الحجاج .

- الشواهد من الآيات القرآنية :

قال : ولشرف النثر يقول الله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾[2] ، ولم يقل لؤلؤا منظوما "[3]

ف " المتكلم " استدل بهذه الآية القرآنية لأنها أقوى حجة وأفضل دليل لإقناع المتلقي، لأن المتلقي لا يستطيع أن يشك في كلام المولى عزوجل لأن ما يقوله هو الصحيح وهو الحق ، وهذا حتى يصل المتكلم إلى مبتغاه وإلى مراميه الحجاجية وهو أن النثر أفضل من النظم ، وأراد كذلك أن يصل إلى أن النثر ورد ذكره في القرآن الكريم وهو خير كلام.

---

(1) – ينظر : محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي ، 65

(2) سورة الإنسان ، الآية 19

(3) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، 301

وهذا مثال آخر :

- وجرى حديث بين " التوحيدي " و " الوزير " في الذكور والإناث .

" قال الوزير قد شرّف الله الإناث بتقديم ذكرهن في قوله عزوجل : ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ ﴾[1] ، فقلت في هذا نظر ، فقال ما هو قلت : قدّم الإناث كما قلت ، ولكن نكّر وأخر الذكور ولكن عرّف ، والتعريف بالتأخير أشرف من النكرة بالتقديم ، ثم قال هذا حسن ، ولم يترك هذا أيضا حتى قال : يقول تعالى : ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾[2].فجمع الجنسين بالتنكير مع تقديم الذكران ، فقال هذا مستوفى "[3].

في هذا الحديث نرى أن " الوزير " رأى بأن الله تعالى شرف الإناث عن الذكور ، واستشهد بالآية القرآنية ، و " التوحيدي " رأى أن الله شرف الذكور على الإناث واستشهد كذلك بالآية نفسها.

فالوزير استشهد بآية قرآنية في شرف الإناث على الذكور ، وهي حجة قوية تدعم طرحه، ليقنع ويفحم " التوحيدي " ولا يستطيع هذا الأخير أن يطعن رأيه. ولكن التوحيدي لكي يدعم طرحه غاص في باطن الآية (وهذا لم يفعله الوزير ، لأن الوزير أخذ الآية بشكلها الظاهري فقط) ، وقدم له لماذا قدم الله الإناث على الذكور (الآية الأولى) ، واستخلص نتيجة بأن الذكور أفضل من الإناث ، وزاد تدعيمه لهذا القول بإعطائه آية قرآنية حتى يكون أكثر إقناعا (الآية الثانية) وغاص فيها كذلك. حتى جعل الوزير في الأخير يقتنع ويقول : "هذا مستوفى " .

نلاحظ أن التوحيدي أقنع الوزير بالرغم أنهما قدما حججا من نفس المصدر ، فالفرق أن التوحيدي قدم الآية وغاص فيها.

---

(1) - سورة الشورى ، الآية ، 49

(2) سورة الشورى ، الآية ، 50

(3) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 438

- الشواهد من الأحاديث النبوية :

– قال " التوحيدي " : " ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : ' سنوا بهم سنة أهل الكتاب ' "[1].

ساق " التوحيدي " هذا الحديث النبوي ردا على الذين اعتبروا " زراداشت " نبيا وهم القرامطة*، لأنه لا كتاب لهم من عند الله منزل عليه ، ولم يكن زراداشت نبيا لأنه لو كان كذلك لأشار إليه الله في كتابه العزيز.

ولكن ما أراد أن يصل إليه التوحيدي بتقديم هذه الحجة القوية (الحديث النبوي) ، هو أن عقيدة الفرس خاطئة ، وعقيدة العرب صحيحة ، إذن فعقيدة العرب أفضل من عقيدة الفرس ، فتكون العرب أفضل من الفرس ، وهذا ما أراد " التوحيدي " إيصاله للوزير.

وهذا مثال آخر :

– بعد أن عرض " التوحيدي " مجموعة من الطوائف والفرق الضالة كالشيعة ، والخوارج ، والأشاعرة ... ، وما يعتقدونه وما يريدونا إثباته ، استشهد بكلام الرسول الكريم للذي تمسك بدينه في وقت ظهرت فيه طوائف كثيرة. حيث قال " التوحيدي ": " قال النبي صلى الله عليه وسلم : ' بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء من أمتي ' "[2].

فهو ساق هذا الحديث النبوي كحجة قوية ليقنع ويؤثر في المتلقي ، بأن الذي تمسك بدينه (يعني الإسلام) ، في وقت اختلفت فيه الأديان (ظهور الفرق الضالة) سوف ينال الثواب والأجر الكبير عند الله

---

[1] – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 86

* القرامطة طائفة مشهورة من الزنادقة أتباع الفلاسفة من الفرس يعتبرون نبوة زراداشت ومزدك وماني ، كانوا يبيحون المحرمات ، وكان ابتداء أمرهم سنة مائتين وثمان وسبعين (ينظر حاشية الكتاب ص 256)

[2] – المرجع نفسه ، 257

- الشاهد من أقوال الصحابة والتابعين :
- وهذا مثال آخر : يقول التوحيدي :

" وسأل –أباد الله عداه وحقق مناه– وقال : هل يسلم على أهل الذمة*؟ وهل يبــدؤون وكان أبو البحتري الداودي حاضرا فحكى أن عمر بن عبد العزيز سئل عن هذا بعينه ، فقال : يرد عليهم السلام ، ولا بأس أن يبدؤوا"[1].

فهنا " أبو البحتري " وصل إلى النتيجة التي أرادها السائل وهي : يرد عليهم السلام ، ولا بأس بأن يبدؤوا ، وذلك بتقديم الحجة التي أوردها " البحتري " ، وهو اســترجاع السؤال الذي طرح على "عمر بن عبد العزيز" ، إذن فهو استشهد بقول " عمر بن عبد العزيز " وهي حجة قوية تكتسب قوتها من قول الصحابة والتابعين.

- الشاهد من أقوال العلماء الحكماء :

لقد استعمل " التوحيدي " هذا الشاهد بكثرة في لياليه.

- لقد استشهد برأي " ابن المقفع " ، عندما سأله الوزير: أتفضل العجم على العرب أم العرب على العجم ؟

فقال " التوحيدي " : " قبل أن أحكم بشيء من تلقاء نفسي ، أرو كلاما لابن المقفع وهــو أصيل في الفرس عريق في العجم "[2].

فبعد مساءلة " ابن المقفع " لأهل المربد ، في قضية أي الأمم أعقل ، وصل إلى أن العرب أعقل الأمم.

ليصلا التوحيدي إلى هدفه وهو أن العرب أعقل وأفضل الأمم.

وقد دعم هذه النتيجة بشاهد أورده من رجل عالم وحكيم وهو " ابن المقفع "

---

* أهل الذمة : هم اليهود والنصارى في بلاد المسلمين والذمة العهد والإل

[1] أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 355

[2] – المرجع نفسه ، ص 70

- واستشهد كذلك برأي " أبي سليمان المنطقي " (وهو يستشهد بـه كثيرا) ، في قضية، هل يمكن الجمع بين الفلسفة والشريعة ، يقول " التوحيدي " : إن أبا سليمان يقول : إن الفلسفة حق لكنها ليست من الشريعة في شيء ، والشريعة حق لكنها ليست من الفلسفة في شيء ، وصاحب الشريعة مبعوث ، وصاحب الفلسفة مبعوث إليه ، وأحدهما مخصوص بالوحي ، والآخر مخصوص ببحثه..."[1].

فساق" التوحيدي " حديث " أبي سليمان " ، ليقنع الوزير بأنه لا يجب الجمع بين الشريعة والفلسفة ، ولكل سماتها الخاصة بها ليخلص في الأخير بأن الشريعة أفضل من الفلسفة. فاستشهد بقول " أبي سليمان " ليدعم القضية التي أثيرت.

- الشاهد من الشعر :

نجد في المناظرة التي دارت بين " متى " مناصر المنطق و " السيرافي " مناصر النحو، أن " السيرافي " استشهد ببيت شعري ليدعم رأيه.

يقول : " قال " أبو نواس " :

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء "[2].

أورد " السيرافي " هذا البيت ليستشهد به ويقنع " متى " ، على قصوره في المنطق ، وليقوي آراءه بأن النحو أفضل من الفلسفة ، وأن الثقافة العربية أفضل من الثقافة الغربية ، وهذا ما أراد أن يصل إليه " السيرافي " ظاهريا ، و" التوحيدي " ضمنيا ليقنع الوزير بأن الثقافة العربية أفضل وأنبل من الثقافة الغربية.

---

(1) أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 211

(2) - المرجع نفسه ، ص 97

- المثـــــــــل :

المثل في الخطابة مقام الاستقراء في المنطق ، فالمثل استقراء بلاغي ، والمثـــل " حجـــة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتهما ، ويراد استنتاج نهاية إحديهما بـــالنظر إلـــى نهاية مماثلتها "[1].

كما انتبه الدارسون والبلاغيون العرب إلى أهمية المثل في إحداث الإقناع " وأما الأمثـــال فإن الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشكال ، ويرون هذا النوع من القول أنجع مطلبا ، لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّـــاس فِي هَذَا القُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[2]، وكذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونتـــه بالأمثـــال والقصص "[3].

ونجد أن " التوحيدي " قد قدم بعض الأمثال لاسيما الأمثال التاريخية ... وكذلك الأمثـــال الجاهزة ، لأنها حجج جاهزة وقوية ، تكسب قوتها من مصدرها ومصادقة الناس عليها.

يقول " التوحيدي " :

قال: " ابن المقفع : إن العرب ليس لها أول تؤمه ولا كتاب يدلها ، أهل بلد قفر ووحشة من الإنس ، احتاج كل واحد منهم في وحدته ونظره وعقله ، وعلموا أن معاشـــهم نبـــات الأرض ...كل واحد منهم يصيب ذلك بعقله ، ويستخرجه بفطنته وفكرته ...، بل نحـــائز مؤدبة وعقول عارفة ، لذلك قلت لكم : إنهم أفضل الأمم "[4].

لكي يدعم " ابن المقفع " بأن العرب أعقل الأمم ، عاد إلى مثل تاريخي ، حيث ذكـــر مـــا كانت عليه العرب.

---

(1) - محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص 68
(2) - سورة الروم ، الآية 58
(3) المرجع السابق ، ص 70
(4) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 71

ويمكن أن نمثل هذا المثل على هذا الشكل :

العرب ليس لها أول تؤمه ولا كتاب يدلها ← العرب لم تكن لها مبادئ أسست عليها

أهل بلد قفر ووحشة من الإنس ← العرب بلد كان لا يملك شيء

احتاج كل واحد منهم إلى وحدته ونظره وعقله ← لم يجتمعوا على آراء موحدة

كل واحد منهم يصيب ذلك بعقله ويستخرجه بفطنته ← الفطرة التي منها الله عليهم

فكل هذه الحجج التي قدمها " ابن المقفع " والتوحيدي ضمنيا ، على أن العرب أعقل الأمم بالفطرة ، وهي في مجملها تقوم على المثل التاريخي.

- والآن سوف نعرض المثل كحجة جاهزة. ومن بين الأمثال التي اعتمدها " التوحيدي " يقول : " قالت العرب : " اغتربوا لا تضووا "[1]. وهذا مثل يضرب للذين يتزوجون من الأنساب. اغتربوا لا تضووا أي تزوجوا في بعاد الأنساب حتى لا تضعف أولادكم.

وقدم التوحيدي هذا المثل التي قالته العرب ، ليقنع الوزير بأن هذا المثل قالته العرب بالسليقة ، وعرفوا أن الذي يتزوج من النسب تضعف أولادهم ، على عكس الفرس الذين لا يحتكمون إلى هذا حيث قال : " ... مع نكاحهم الأمهات والأخوات والبنات فإن هذا شيء كريه بالطباع "[2].

ليخلص " التوحيدي " من خلال تقديمه لهذا المثل بأن العرب أعقل وأفضل من الفرس بالطباع.

- وقد قدم التوحيدي أيضا مثل ، في قوله : " قال الحريري : هيهات لقد أسررتم الحسو في الإرتغاء* "[3]

---

(1) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 88

(2) - المرجع نفسه ، ص 85

* وهذا مثل يضرب لمن يظهر أمرا ويريد خلافه (ينظر الحاشية ص 209)

(3) - المرجع نفسه ، 209

وقد قدم " المتكلم " هذا المثل ردا على " المقدسي " ، الذي يتظاهر ويظهر بأنـــه لا يفتقـد الشريعة ، وأنه يحاول أن يجمع بين الفلسفة والشريعة ليكون الكمال ، ولكنه مـــن ســـياق كلامه يحاول أن يفضل ويقدس الفلسفة ، ويفند ما تقوله الشريعة ، لذلك أورد " المـــتكلم " هذا المثل لأنه حجة قوية يدعم بها طرحه وهو أن الشريعة أفضل من الفلسفة.

خـــــــــلاصـــــــة :

لقد سعينا في هذا الفصل ، من خلال تحليلنا لبعض النماذج ، إلى إبراز نتيجة مفادهـــا أن البلاغة لا تعتمد فقط على طابعها الجمالي ، وهذا ما يظنه الكثيرون ، بل لها وظيفـــة حجاجية إقناعية لها تأثير قوي في المتلقي ، لأن اللبس والمجاز في الكـــلام مـــن أقـــوى المظاهر الحجاجية .

و النماذج التي حللناها اختلفت وتباينت من نموذج إلى آخر وذلك حسب الآلية البلاغية المستخدمة .

ولقد اقتصرنا على نماذج دون غيرها ، وذلك حسب الموضوع المثار الذي يكون قابل للحجاج ، لأن هناك بعض النماذج تتجسد فيها آلية الحجاج البلاغـــي دون غيرهـــا مـــن النماذج الأخرى.

فالتوحيدي لجأ إلى هذه الآليات ليؤثر ويقنع الوزير ، لأن هذه الآليات كما أسلفنا الذكر من الآليات الحجاجية القوية.

فالبلاغة بالنسبة لهذا التحليل هي حجاج وإقناع وليست جمالا وتنميقا وزخرفا .

الفصل الثالث

آليات الحجاج اللغوية في الإمتاع والمؤانسة

آليات الحجاج اللغوية في كتاب " الإمتاع والمؤانسة " :

سوف نقوم في هذا الفصل بتحليل بعض النماذج تحليلا حجاجيا لغويا .

وكتاب " الإمتاع والمؤانسة لا يخلو من هذه الآليات ، فقد لجأ " التوحيدي " إلى الـــروابط الحجاجية النحوية والتداولية ، ليكون النص منسجما من ناحية ، وليوجه أقواله ومقاصده مـــن ناحية أخرى ، كما استعمل السلم الحجاجي ، ليتدرج بالحجج من الضعيفة إلى القوية ليصـــل إلى وجهته وذلك حسب مقاصده ، ونجده كذلك لجأ إلى الأفعال اللغوية (السؤال ، الأمـــر ، النهي...) ، و ليالي الإمتاع والمؤانسة في مجملها تقوم على هذه الأفعال اللغوية ، إلى غير ذلك من الآليات الأخرى.

وسوف نحاول أن نكشف كيف تعمل هذه الآليات حجاجيا ؟

1- الروابط الحجاجية :

الروابط الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها ،وتحتوي اللغة العربية على عدة روابط حجاجية شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى ، بحيث يمكن أن نذكر منها مايلي : بل ، لكن ، إذن ، لاسيما ، وحتى ، لأن ، بما أن ، إذا ، الواو ، الفاء ، اللام ، كي ....[1]

وكتاب الإمتاع والمؤانسة توجد فيه مجموعة من الروابط وسوف نحاول أن نقتصر على البعض منها ، وندرس استعمالاتها الحجاجية فقط دون اللجوء إلى الجوانب الأخرى (التركيبية ، النحوية ، المعجمية...)

ويمكن أن ندرس هذه الروابط الحجاجية بهذا الشكل : الروابط المدرجة للحجج ، والروابط المدرجة للنتائج وروابط التعارض الحجاجي وروابط التساوق الحجاجي

1.1 - الروابط المدرجة للحجج :

*** الرابط الحجاجي "لأن" :**

يعتبر الرابط "لأن" من أهم ألفاظ التعليل ، ويستعمل لتبرير الفعل ، وهذا الرابط نجده بكثرة في "الإمتاع والمؤانسة" ، لأن التوحيدي كثيرا ما يقدم الفكرة ثم يفصل فيها تفصيلا تعليليا.

كالمثال التالي:

"البلاغة هي الجد وهي الجامعة لثمرات العقل لأنها تحق الحق وتبطل الباطل"[2]

النتيجة : البلاغة هي الجد وهي الجامعة لثمرات العقل

---

(1) - ينظر : أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص55

(2) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص93

الرابط الحجاجي: لأن

الحجة : تحق الحق وتبطل الباطل

فالرابط الحجاجي " لأن " ربط بين النتيجة والحجة ، فالرابط هنا جاء بعد إلقاء النتيجة وجاءت الحجة بعده لتعلل النتيجة المطروحة.

ولنأخذ مثالا آخر

" إنما جمعنا بين الفلسفة والشريعة لأن الشريعة عامة والفلسفة خاصة "[1]

النتيجة : الجمع بين الفلسفة والشريعة :

الرابط الحجاجي : لأن

ح1 : الشريعة عامة .

ح2 : الفلسفة خاصة

ففي هذا المثال جاءت الحجتان لتدعيم النتيجة المطروحة ولتبرير وتعليل سبب الجمع بين الفلسفة والشريعة وذلك بفضل الرابط الحجاجي "لأن"

* **الرابط الحجاجي "لام التعليل" :**

تعد لام التعليل من الروابط الحجاجية التي تربط بين النتيجة والحجة ولدعم وتبرير النتيجة

"وخلقت قوائمه* غير منفصلة ، ولكنها كالأساطين المصمتة والسواري الوثيقة لتحمل الكثير الثقيل"[2]

النتيجة : قوائم الفيل غير منفصلة عن بعضها البعض ،فهي تشبه الأسطوانات في شكلها..

---

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 206

* الهاء هاهنا تعود على الفيل

(2) – المرجع نفسه ، ص 160

الرابط الحجاجي : لام التعليل

الحجة : تحمل الكثير الثقيل

فالرابط الحجاجي تموضع مباشرة بعد إلقاء النتيجة وجاء مرتبطا بالحجة ليعلل ويفسر ويضمن سلامة النتيجة المطروحة.

"كان ابن المقفع يقف قلمه كثيرا ، فقيل له في ذلك ، فقال إن الكلام يزدحم في صدري فيقف قلمي لأتخيره"[1]

إن الكلام يزدحم في صدري فيقف قلمي : النتيجة أو القضية

لام التعليل : الرابط الحجاجي

أتخيره : الحجة

فالرابط الحجاجي جاء هنا لتبرير النتيجة وتعليلها و مفادها أن الكلام الكثير الغزير الذي يحمله ابن المقفع في جعبته يوقف قلمه على الكتابة ليتخير اللفظ الجميل والكلام المناسب

ويرى بعض النحاة أن اللام الجارة كذلك تكون للتعليل ، ومثالها عند الخطابي قوله تعالى : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾[2] وأشار إلى معناها في هذه الآية (لأجل حب الخير). وقدر المعنى نفسه في هذه الآية الزركشي والسيوطي.[3]

---

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 265

(2) – سورة العاديات ، الآية 8

(3) ينظر : الإمام أبي الحسين علي بن عيسى الرماني : معاني الحروف ، تحقيق الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ط 1 : 2005 ، ص 27

ويمكن استعمال اللام الجارة حجاجيا ، ومن ذلك :

" ولا يرجع إلى الرقة والرأفة والرحمة ، والناس كلهم محجومون عنه ، لجرأته وسلاطته"[1].

النتيجة : لا يرجع إلى الرقة ... والناس كلهم محجومون عنه

الرابط الحجاجي : اللام

الحجة : جرأته وسلاطته..

وتقدير الكلام لأنه يتجرأ ويتسلط

فقد جاءت الحجة لدعم النتيجة المطروحة وذلك بفضل الرابط الحجاجي (اللام)

فيتبين لنا كذلك في هذا المثال أن الرابط الحجاجي "لام الجر" جاء كذلك للتعليل ، والذي دائما يقوم بتدعيم النتيجة

من خلال تحليلنا لبعض الروابط المدرجة للحجج أي أن ما يأتي بعدها يكون حججا معللة للنتيجة المطروحة ، نستنتج أن هذه الروابط كلها تأتي مباشرة بعد طرح النتيجة وذلك لتفسير وتعليل وتدعيم هذه النتيجة أو هذا الطرح.

2.1 – الروابط المدرجة للنتائج :

*** الرابط الحجاجي " إذن" :**

تعمل "إذن" حجاجيا وذلك بربطها بين الحجة والنتيجة أي أنها تدرج النتيجة بعدها ، ويتبين لنا هذا العمل من المثال التالي :

---

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 57

" ولا سبيل لك إليها من تلقاء نفسك ، وإنما هو شيء من تلقاء غيرك، فإذن بالضرورة وبالواجب ينبغي أن تخطو على آثار المنطقيين والطبيعيين والمهندسين بالزحف والعناء والتكلف الدؤوب..."[1]

حجة 1 : ولا سبيل إليها من تلقاء نفسك

حجة 2 : إنما هو شيء يأتي من تلقاء غيرك

الرابط الحجاجي : إذن :

النتيجة : بالضرورة والواجب ...

نجد أن هذا المثال يشتمل على حجتين ونتيجة مستنتجة منهما ورابط حجاجي وهو الذي قام بالربط بينهما أي بين الحجتين والنتيجة

*** الرابط الحجاجي "لهذا" :**

يعمل "لهذا" حجاجيا وذلك بربطه بين الحجة والنتيجة ويتبين لنا في المثال التالي :

" وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي ، ولهذا كان اللفظ بائدا عن الزمان ... ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان"[2].

فهذا المثال يحمل حجتين ورابطين حجاجيين مدرجين للنتائج ونتيجتين مستخلصتين من الحجتين

حجة أولى : اللفظ طبيعي

الرابط الحجاجي : لهذا

اللفظ بائدا عن الزمان : النتيجة المستخلصة من الحجة الأولى لأن الزمان يتبع أثر الطبيعة لذلك حاجج بأن اللفظ طبيعي

---

(1) أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 98

(2) - المرجع نفسه ، ص 104

حجة ثانية : المعنى عقلي

الرابط الحجاجي : لهذا

المعنى ثابت على الزمان : نتيجة مستخلصة من الحجة الثانية لأن مستملي المعنى عقل

في هذا المثال يتبين لنا أن الرابط الحجاجي "لهذا" قد شكل نتيجة أولى ونتيجة ثانية مختلفتين باختلاف الحجتين.

*** الرابط الحجاجي " كي ":**

تستعمل " كي" للتبرير والتعليل وقد تستعمل كذلك كرابط مدرج للنتائج ، ومنها:

"وهذه الدواوين معروفة والأعمال فيها موصوفة وأنا أحصيها لك كي تعلم أنك غالط وعن الصواب فيها منحرف "[1].

حجة : هذه الدواوين معروفة ...

الرابط الحجاجي :كي

نتيجة : تعلم أنك غالط وعن الصواب فيها منحرف

ويمكن أن نأولها بهذا الشكل : بقدر ما أحصي لك هذه الدواوين المعروفة ..، تعلم أنك غالط وعن الصواب فيها منحرف

ويمكن أن نعوضها بالرابط الحجاجي المدرج للنتائج "إذن" فتكون بهذا الشكل : وهذه الدواوين معروفة والأعمال فيها موصوفة وأنا أحصيها لك ، إذن ستعلم أنك غالط وعن الصواب فيها منحرف

---

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 91

من خلال تحليلنا لبعض الروابط المدرجة للحجج ، رأينا أن النتيجة المستخلصة تكون مدعمة بواسطة حجج ، أي أنها تستخلص من الحجة المطروحة ، وذلك بفضل الرابط الحجاجي .

3.1 - روابط التعارض الحجاجي :

جاءت " لكن " و" بل " عند النحويين لنفي كلام وإثبات غيره ، يقول الرماني : " تقع لكن بين كلامين لما فيها من نفي وإثبات لغيره فهي تتوسط بين كلامين متغايرين نفيا وإيجابا يستدرك بها النفي بالإيجاب ، والإيجاب بالنفي "[1]. ويقول في شأن " بل " : " وهي من الحروف الهوامل ، ومعناها الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني "[2].

تعد "لكن" و" بل" من الروابط الحجاجية التداولية التي لقيت اهتماما كبيرا لاسيما عند "أنسكومبر" "ASCOMBER" و "ديكرو" "DICROT " اللذين ميزا في دراستهما العديدة للأداة "MAIS" بين الاستعمال الحجاجي والاستعمال الإبطالي ؛ فاللغة الفرنسية تشمل على أداة واحدة تستعمل للحجاج والإبطال ، في المقابل نجد أن اللغات الأخرى تتوفر على أداتين : أداة للحجاج وأداة أخرى للإبطال ، ومن بين هذه اللغات نذكر اللغة الاسبانية (sino.pero) والألمانية(sondern.aber) والعبرية (ilay . aval) والعربية (لكن ، بل). لكن اللغة العربية وإن كانت تلتقي مع الاسبانية والألمانية في توفرها على أداتين فإنها تختلف عنهما (تلتقي مع الفرنسية)، لأن كل من" لكن " و"بل" تستعملان للحجاج والإبطال.[3]

و يجدر بنا أن نشير أن التلفظ بأقوال من نمط " أ " لكن "ب " يستلزم أمرين اثنين [4]:

- أن المتكلم يقدم " أ " و " ب " باعتبارهما حجتين ، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة " ن" ، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها أي "لا – ن" .

---

(1) - الرماني : معاني الحروف ، ص 196
(2) - المرجع نفسه ، ص 71
(3) ينظر : أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص 57
(4) - المرجع نفسه ، ص 58

- أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى وباعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته.

هذا يعني أن كل من "لكن" و"بل" الحجاجيتين تعملان تعارضا حجاجيا بين ما يتقدم الرابط وما يتبعه ، فالقسم الأول " أ " يتضمن حجة تخدم نتيجة "ن" ، والقسم الثاني " ب " يخدم نتيجة مضادة "لا – ن" ، وتكون الحجة الثانية أقوى من الأولى ، وبهذا توجه القول بمجمله نحو النتيجة "لا – ن ".

ونحاول أن نسقط هذه الدراسة على الإمتاع والمؤانسة الذي لا يخلو من هذه الروابط الحجاجية.

- **الرابط الحجاجي " لكن "**

يقول التوحيدي :

" النثر أصل الكلام ، والنظم فرعه ، والأصل أشرف من الفرع ، والفرع أنقص من الأصل ، لكن لكل واحد منهما زائنات وشائنات"[1].

ففي هذا المثال نجد " لكن " تعمل تعارضا حجاجيا بين ما يتقدم الرابط وما يتلوه ، فالقسم الأول (النثر أصل الكلام والنظم فرعه...) هذه حجة أولى تخدم نتيجة ضمنية من قبيل (النثر أصل اللغة الإنسانية)أو(النظم هو جزء لا يتجزأ من النثر) إلى غير ذلك من النتائج الضمنية ، أما القسم الثاني (لكل واحد منهما زائنات وشائنات...) هذه حجة ثانية تخدم نتيجة مضادة للأولى من قبيل (أن لكل من النثر والنظم عيوبا ومحاسن ولا نستطيع تفضيل أحدهما على الآخر) .

فهنا تكون الحجة الأولى أقوى من الحجة الثانية لأن القول بمجمله يؤول نحو النتيجة المضادة ، وهي النتيجة الضمنية التي جاءت بعد الرابط "لكن"

---

(1) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 300

وقال في مثال آخر :

" كأنكم تظنون في مقاربتكم ،فو الله لوددت أن الأمر ليس لكم و لا فيكم و لكن كرهت إن فاتني الأمر أن يفوتني الصواب..."[1]

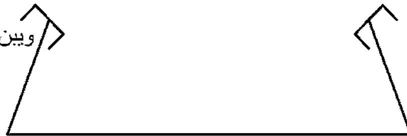
ففي هذا المثال نجد "لكن " تربط كذلك بين حجتين ، فالحجة الأولى والتي جاءت قبل "لكن" (كأنكم تظنون ...) ، تخدم نتيجة ضمنية من قبيل (أن ابن المقفع قالها لأصحاب المجلس وهم العرب للتقرب منهم ويكسب قلوبهم) ، أو من قبيل (أنه تمنى لو كان هذا المجلس من غير العرب حتى يفصح أكثر عما يدور في خاطره) ، أما الحجة الثانية والتي جاءت بعد " لكن " (كرهت إن فاتني الأمر أن يفوتني الصواب) ، فهي تخدم نتيجة ضمنية معارضة للنتيجة الأولى التي جاءت قبل الرابط الحجاجي " لكن " ، وهذه النتيجة من قبيل (أن ابن المقفع يريد أن يثبت الصواب ويبرهن أن العرب هم أحسن الأمم).

فهاهنا الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى ومعارضة لها ، فتكون النتيجة المضادة هي النتيجة التي يؤول إليها الكلام برمته.

ويمكن أن نمثلها بهذا الشكل :

(ن) (لا-ن)

ابن المقفع قالها لأصحاب المجلس وهم العرب ابن المقفع يريد أن يثبت الصواب ويبين أن العرب أعقل الأمم



كأنكم تظنون في مقاربتكم (ح1) كرهت إن فاتني الأمر أن يفوتني الصواب(ح2)

النتيجة بمجملها تؤول ل (لا – ن).

[1] – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 71

الرابط الحجاجي " بـــــــــــــــــــل" :

ويمكن أن نأخذ المثال التالي :

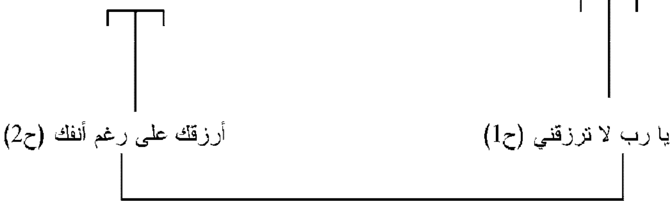
"قال ابن السماك : لو قال العبد : يا رب لا ترزقني لقال الله ، بل أرزقـك علـى رغـم أنفك..."[1]

يمكن أن نعتبر أن " بل " الواردة في هذا المثال هي من النمط الحجاجي ، وهي رابـط حجاجي، ويمكن توضيح هذا المثال كمايلي :

إن الرابط الحجاجي "بل " يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين : علاقـة بين الحجة الأولى والتي ترد قبل الرابط الحجاجي "بل" وهي (يا رب لا ترزقنـي) والتـي تحمل نتيجة ضمنية من قبيل " أن العبد يظن أن هناك رازقا آخر غير الله" أو من قبيل " أنـه يرزق من غير أن يرزقه الله"

وعلاقة حجاجية ثانية وهي التي ترد بعد "بل" وهي (أرزقك على رغم أنفك) ، وتحمل نتيجة ضمنية من قبيل " أن الله هو الذي خلق العبد وهو الذي يرزقه لأنه لا رازق غير الله"

فهذه النتيجة سارت في اتجاه مضاد للنتيجة السابقة ويمكن أن نوضح هذا المثال كمايلي :



النتيجة بمجملها هي : الله هو الرازق ولا رازق غيره (لا – ن) .

---

[1] – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 296

حيث ح1 ، ح2 حجتان ، و "ن" تشير إلى النتيجة ، و " لا – ن" تشير إلى النتيجة المضادة للنتيجة السابقة ، والرمز ( ) يشير إلى العلاقة الحجاجية التي تختلف عن علاقة الاستلزام المنطقي ، والرابط " بل " يربط بين الحجج والنتائج ، (لا – ن) ستصبح نتيجة القول برمته.

فالحجة التي تأتي بعد الرابط تكون أقوى من الحجة التي ترد قبله ، فالله هو الذي يرزق العبد وهو الخالق لهذا الكون وهو الذي يرزق جميع الكائنات الحية .

ونأخذ مثال آخر :

" فقال : حرس الله نفسه : ما أكثر رونق هذا الكلام ! وما أعلى رتبته في كنه العقل! اكتبه لنا ، بل اجمع لي جزءا لطيفا من هذه الفقر"[1].

فالوزير أمر التوحيدي بكتابة كل الكلام الذي قاله ابن المقفع لما يحمله من رونق وجمال وترويح للعقل ، ثم أمره بعد الرابط الحجاجي " بل " بجمع جزء لطيف فقط.

ويمكن أن نحلل هذا المثال كمايلي :

فهذا المثال يحمل حجتين متعارضتين بين الكل والجزء ، أي بين كل الكلام وجزئه فالحجة الأولى : اكتبه لنا (أي كل الكلام الذي قاله ابن المقفع) ، التي تحمل نتيجة ضمنية من قبيل (أن كل الكلام الذي قاله ابن المقفع يكتب)

ويمكن تمثيلها : اكتبه لنا ⟵ أن كل الكلام الذي قاله ابن المقفع يكتب

أما الحجة الثانية : (اجمع لي جزءا لطيفا) ، فهي تحمل نتيجة ضمنية من قبيل (تخير الكلام المهم فقط)

اجمع لي جزء ⟵ تخير الكلام المهم.

---

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 216

فالحجة التي جاءت بعد الرابط الحجاجي "بل" كانت أقوى من الحجة التي جاءت قبلهـــا ، والنتيجة المضادة ستصبح نتيجة القول برمته.

من خلال تحليلنا للرابطين الحجاجيين " لكن " و " بل " نستنتج مايلي :

أنهما يربطان بين حجتين متعارضتين

أنهما يقيمان علاقة حجاجية بين الحجة والحجة أو بين الحجة والنتيجة

تكون الحجة التي ترد قبل الرابط تحمل نتيجة ضمنية نرمز لها ب "ن"

وتكون الحجة التي ترد بعد الرابط تحمل نتيجة ضمنية معارضة للنتيجة التي تـــرد قبـــل الرابط ونرمز لها ب " لا – ن "

الحجة التي ترد بعد الرابط تكون أقوى من الحجة التي ترد قبله

القول بمجمله يؤول إلى النتيجة المضادة " لا– ن "

4.1 – روابط التساوق الحجاجي :

* الرابط الحجاجي " حتى "

لقد قدم كل من " ديكرو " و "أنسكومبر" وصـــفا لـــلأداة "meme" المقابلـــة ل"حتـــى" الحجاجية في اللغة العربية ، لذلك أقرا بأن " الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغـــي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة ، أي أنها تخدم نتيجة واحدة ، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى ، لذلك فإن القول المشتمل على الأداة 'حتى " لا يقبـــل الإبطـــال والتعارض الحجاجي ".[1]

وكتاب "الإمتاع والمؤانسة" يتوفر على هذا النوع من الروابط الحجاجية ، وسوف نبرز هذا من خلال بعض الأمثلة

[1] – أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص 73

يقول التوحيدي :

" وجعلوا بينهم شيئا ينتهون به عن المنكر ، ويرغبهم في الجميل ويتجنبون بـــه الـــدناءة ويحضهم على المكارم ، حتى إن الرجل منهم يصف المكارم فما يبقي من نعتها شيئا "[1].

فالرابط الحجاجي في هذا المثال قد ربط بين مجموعة من الحجج

جعلوا شيئا ينتهون به عن المنكر : حجة1

يرغبهم في الجميل : حجة2

يتجنبون به الدناءة : حجة 3

يشجعهم على المكارم : حجة4

الرجل منهم يصف المكارم فما يبقي من نعتها شيئا : حجة 5

فكل هذه الحجج سواء الواردة قبل " حتى " أو الواردة بعدها تخدم نتيجة واحـــدة مـــن قبيل " أن العرب هم أفضل الأمم" أو " الأمم الأخرى لا تتصف بهذه الصفات أو " المكـــارم والأخلاق العالية التي يتميز بها العرب" إلى غير ذلك

فهذه الحجج جاءت متساوقة أي أنها تخدم نتيجة واحدة .

ونلاحظ أن الحجة التي تلي الرابط هي الحجة الأقوى لأنه زادت فـــي تأكيـــد الحجـــج السابقة .

" ... ولكني وجدته هجين اللفظ ركيك البلاغة في وصف البلاغة حتى كأن ما يصـــفه ليس ما يعرفه...."[2].

فالرابط الحجاجي في هذا المثال أيضا يربط بين مجموعة من الحجج المتساوقة

---

(1) أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص71

(2) - المرجع نفسه ، ص 310

وجدته هجين اللفظ : ح1

ركيك البلاغة في وصف البلاغة : ح2

كأن ما يصفه ليس ما يعرفه : ح3

معناه أن الأوصاف التي وصف بها البلاغة أوصاف لا يعرفها أي لا تنطبق على ما قاله على البلاغة

فنلاحظ أن الحجة التي جاءت بعد الرابط الحجاجي " حتى " جاءت أقوى من الحجج التي قبله ، والتي تؤول بمجملها أي الحجج التي جاءت قبل وبعد الرابط إلى نتيجة ضمنية من قبيل " التقصير من قيمة البلاغة" أو " يدعي معرفة البلاغة وهو لا يعرف شيئا منها ".

ففي المثالين السابقين لاحظنا أن "حتى " عملت التساوق الحجاجي أي أن الحجج كلها – التي ترد قبل وبعد الرابط– تؤدي إلى نتيجة واحدة.

ول"حتى" استعمالات حجاجية أخرى ، كأن تستعمل للتعليل والشرط ، ويمكن أن نمثل لها بمايلي :

" بالضرورة والواجب ينبغي أن تخطو على آثار المنطقيين والطبيعيين والمهندسين بالزحف والعناء والتكلف حتى تصير متشبها بذلك الرجل الفاضل والواحد الكامل والبديع النادر "[1].

ف "حتى" في هذا المثال جاءت للحجاج والإقناع .

فيمكن أن تقرأ قراءة سببية وتدل على التعليل أي أن ما قبلها هو تعليل وحجة لما بعدها ، ويمكن أن نعوضها بالرابط التعليلي " لكي " وتصبح بذا الشكل :

" بالضرورة والواجب ينبغي أن تخطو على آثار المنطقيين ⊏ لكي تصير متشبها بذلك الرجل الفاضل ..."

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 98

فتصيير "حتى" في هذا المثال تعليلية حجاجية أي أنها عللت وفسرت الخطو على آثار المنطقيين.

ويمكن أن نعتبرها حجة وما بعدها نتيجة .

وقد تكون " حتى " في هذا المثال شرطية ، فالمتكلم يقدم الحجة " عليك أن تخطو على آثار المنطقيين والطبيعيين..." باعتبارها شرطا لحصول النتيجة " تصير متشبها بذلك الرجل الفاضل والواحد الكامل...".

لقد رأينا آنفا أن "بل" لها وظيفة حجاجية ، أي أنها تستعمل مرادفة للرابط الحجاجي "لكن" أي أنها من روابط التعارض الحجاجي .

فكذلك يمكن أن تكون للرابط الحجاجي "بل" وظيفة حجاجية أخرى ، وهي أن تستعمل مرادفة للرابط الحجاجي " حتى " ونلاحظ أن كليهما يربط بين حجتين لهما نفس التوجه الحجاجي ، وكلاهما يقدم الحجة الثانية أي الواردة بعد الرابط هي الحجة الأقوى التي تخدم النتيجة المقصودة.[1].

ويمكن أن نمثلها بهذا المثال :

يقول " التوحيدي " : " ألا تعلم أن أعمال الدواوين التي ينفرد أصحابها فيها بعمل الحساب فقيرة إلى إنشاء الكتب في فنون ما يصفونه ويتعاطونه ، بل لا سبيل لهم إلى العمل إلا بعد تقدمة هذه الكتب التي مدارها على الفهم والإفهام البليغ والبيان المكشوف"

ويمكن أن نعوضها بالرابط الحجاجي " حتى " ، فتصبح بهذا الشكل :

" ألا تعلم أن أعمال الدواوين ..... ، حتى لا سبيل لهم إلى العمل ...".

فهنا عوضنا " بل " ب " حتى " ، ورأينا أن " بل " لم تعمل تعارضا حجاجيا ، بل زادت في تدعيم الحجة التي قبلها.

---

(1) - ينظر : أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص 83

ونستنتج من تحليلنا للرابط الحجاجي " حتى" مايلي :

أنه يعمل على التساوق الحجاجي ، أي أن الحجج كلها الواردة قبله أو بعده تخدم نتيجة ضمنية واحدة.

- أن الحجة التي ترد بعد " حتى " تكون أقوى حجاجيا من التي ترد قبلها

- يمكن ل"حتى" أن تعمل تعليلية أو تفسيرية أو شرطية معناه أنها تعوض بروابط تعليلية...

- يمكن أن تعوض بالرابط الحجاجي " بل" ويصبح "بل" في هذه الحالة يعمل تساوقا حجاجيا.

إضافة إلى الروابط التي ذكرناها آنفا هناك روابط حجاجية أخرى تقوم بالربط بين الحجج والتنسيق بينها ، ومن هذه الروابط " الواو" و" الفاء" و" ثم"

* **الرابط الحجاجي " الواو"**

يستعمل " الواو" حجاجيا وذلك بترتيبه للحجج ووصل بعضها ببعض ، بل وتقوي كل حجة منها الأخرى ، وتعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي.[1]

ولنأخذ هذا المثال :

" فأما بلاغة الشعر ، فأن يكون نحوه مقبولا ، والمعنى من كل ناحية مكشوفا ، واللفظ من الغريب بريئا ، والكناية لطيفة والتصريح احتجاجا ، والمؤاخاة موجودة ، والمواءمة ظاهرة."[2]. فالرابط الحجاجي هنا قام بالوصل بين الحجة والحجة ، وقام كذلك بترتيب الحجج لتقوية النتيجة المطروحة ودعمها ، وهي " بلاغة الشعر " ، كما عمل على ربط الحجج وترتيبها ترتيبا أفقيا .

---

(1) - ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص 472

(2) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 306

فالحجج جاءت متسقة وغير منفصلة وكذلك كل حجة تقوم بتقوية الحجة الأخرى وذلك بفضل الرابط الحجاجي " الواو"

فهذا الرابط نجده بشكل كبير في " الإمتاع والمؤانسة " ولا سيما الروابط الأخرى التي تقوم بنفس العمل مثل " ثم " و " الفاء " ... ، فهي كذلك تعمل للربط بين الحجج ، مع فارق بينهما.

هذا لنبين أن هذه الروابط لا تقتصر فقط على عملها النحوي ... بل لها دور ووظيفة حجاجية.

ومن بين الروابط التي استعملها " التوحيدي " بكثرة هي : الروابط المدرجة للحجج ، لأنه دائما يقدم الفكرة ثم يعللها (موجودة في كل الليالي) ، كما استعمل روابط التعارض الحجاجي ، لأنها روابط تدرج حججا قوية.

وفي الأخير نقول إن هناك روابط حجاجية أخرى لم نتطرق إليها لأنها كثيرة مثل إذ ، بما أن ، مع ذلك... واعتمدنا هذه الروابط – السالفة الذكر- أي وقع الاختيار عليها للأسباب التالية

- استعملها " التوحيدي " كثيرا في لياليه مع الوزير
- لها علاقة واضحة مع المعنى سواء كان ضمنيا أو صريحا ، وذلك ليصل " التوحيدي" إلى أغراضه.
- قدم كذلك بشأنها أهل الاختصاص مقاربات وأمثلة واضحة.
- نظرا للقيم الحجاجية التي تحملها.

ولقد اقتصرنا على الاستعمالات الحجاجية فقط لهذه الروابط بصرف النظر عن الاستعمالات الأخرى.

2 - **العوامل الحجاجية :**

رأينا سابقا أن الروابط الحجاجية تقوم بالربط بين ملفوظين ، في المقابل نجد أن العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية فهي تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما.

فالعامل الحجاجي يقوم على الاقتضاء ، فلو قلنا إن مقتضى الملفوظ " كدت أن أنجح " ، فهنا الاستجابة لم تحصل ، فهذا الملفوظ يقتضي ذلك ، ووجود العامل " كدت " يوضحه ويؤكده ، أما عمله حجاجيا فإنه يتيح الربط بين أجزاء النص ، وبين الملفوظات داخل المقطع الواحد ، فحسب التحليل الحجاجي " كدت أن أنجح " ، تسير في الاتجاه الذي تؤدي إليه الحجة " نجحت " ، ويخدمان نتيجة واحدة.[1]

وسوف نقدم بعض النماذج من " الإمتاع والمؤانسة "

***العامل الحجاجي " ربما "**

ولنأخذ المثال التالي:

" و أنشد أبو عمرو الشيباني قول الاسدي :

إن كنت أبصرتني قلا * ومصطلما ** فربما قتل المكاء ثعبانا "[2]

فالشاعر في هذا البيت صور حالة ضعفه وقدرته على قتل من هو أقوى منه بحالة المكاء الضعيف (وهو طائر أبيض يصفر ويصيح) وهو يقتل الثعبان الأقوى منه .

فنجد في قول الشاعر عامل حجاجي " ربما قتل... "

فهذا القول يقتضي أن القتل لم يحصل ولا نستطيع أن نربطه بالقول الذي قبله

---

(1) - ينظر : أبو بكر العزاوي : الخطاب والحجاج ، 56

* قلا : بضم القاف وهي القرد الذي لا أحد له

** المصطلم : الاستئصال

(2) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 278

وإذا حللنا هذا القول حجاجيا فإننا نجد أن الحجة " فربما قتل المكاء ثعبانا " تسير في الإتجاه نفسه مع الحجة " قتل المكاء ثعبانا " ويخدمان نفس النتيجة والتي تكون من قبيل " الطائر الضعيف يقتل الثعبان الأقوى "

ويمكن أن نمثلها بالشكل التالي :

- قتل المكاء ثعبانا ← الطائر الضعيف يقتل الثعبان القوي

- ربما قتل المكاء ثعبانا ← الطائر الضعيف يقتل الثعبان القوي

فهناك فرق بين "ربما قتل ..." و " قتل المكاء..." ، ففي هاذين الحالتين نجدهما تشتركان في نفس الوجهة الحجاجية ، وفي النتيجة التي تخدمانها ، ولكن الشاعر اختار الحالة الأولى " ربما... " ، لأنها ربما تعبر عن الحالة التي يعاني منها ، لذلك استعمل هذا العامل الحجاجي ، واختيار الحجج يتعلق بالمقاصد التي يريد الشاعر أن يصل إليها وهي قتل من أقوى منه .

*** العامل الحجاجي " لا..... إلا"**

ولنأخذ هذا المثال :

يقول السيرافي لمتى " فكأنك تقول : لا حجة إلا عقول اليونان ، ولا برهان إلا ما وصفوه ، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه "[(1)]

وإذا حللنا هذا القول حجاجيا فإننا نجد أن الحجج " لا حجة إلا عقول اليونان " و " ولا برهان إلا ما وصفوه " و " لا حقيقة إلا ما أبرزوه " تسير في الاتجاه نفسه للحجج التالية على الترتيب : " وحجة هي عقول اليونان " و " وبرهان وصفوه " و " وحقيقة أبرزوها " ، وكل حجة من هذه الحجج تخدم نتيجة ضمنية وسوف نبينها على الشكل التالي :

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 102

" لا حجة إلا عقول اليونان " و " حجة هي عقول اليونان" ، تخدمان نتيجة ضمنية من قبيل أن " العقل اليوناني هو العقل السليم "

" ولا برهان إلا ما وصفوه " و " وبرهان وصفوه " ، تخدمان نتيجة ضمنية من قبيل " البرهان من اختصاص اليونان فقط . "

"ولا حقيقة إلا ما أبرزوه" و " حقيقة أبرزوها " ، تخدمان نتيجة ضمنية من قبيل " أن ما يأتي به اليونان صحيح ولا مجال لتفنيدهم "

من خلال مضمون هذا المثال نستنتج أن " متى " أراد أن يبين " للسيرافي " أن اليونان هم من يتصفون بهذه الأوصاف ، وبفضل عنايتهم ظهر كل شيء في عصرهم ويقصد أصناف العلم وأنواعه.

وقد استعمل " السيرافي " روابط التعارض الحجاجي لأنها روابط تقتضي هذه الأقوال فقط ، وربما يحاول كذلك التقليص من القيمة والإمكانات الحجاجية التي تتيحها هذه العوامل ، وكما قلنا آنفا أنها ترتبط بالمقاصد والوجهة التي يريد أن يصل إليها المتكلم.

من خلال تحليلنا لبعض العوامل الحجاجية نستنتج مايلي :

- أنها لا تربط بين متغيرات حجاجية
- لا تربط بين حجة ونتيجة
- لا تربط بين مجموعة من الحجج
- الحجة التي يوجد فيها العامل تسير في نفس اتجاه الحجة التي لا يوجد فيها العامل نفس الحجتين تخدمان نتيجة ضمنية واحدة

إذن فهي تعمل وفق مبدأ الاقتضاء ، ونجد هذه العوامل الحجاجية في " الإمتاع والمؤانسة" ضئيلة جدا ، لم يلجأ إليها التوحيدي بكثرة لتدعيم آرائه الحجاجية ، وهذا راجع ربما لأنها تقوم على مبدأ الاقتضاء ، الذي لا يفضي إلى نفس المقاصد والوجهات الحجاجية.

3 – السلم الحجاجي :

السلم الحجاجي كما رأينا يقوم على ترتيب الحجج عموديا من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية في فئة حجاجية واحدة ، كما يكون كل قول في السلم دليلا على مدلول معين ، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى منه.

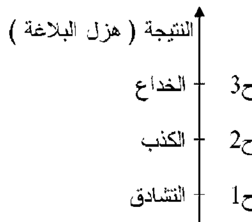
ويجب أن نسقط هذا التعريف على كتاب " الامتاع والمؤانسة " الذي بدوره لا يخلو من مثل هذا النوع اللغوي .

ولنأخذ المثال التالي :

قال " ألا ترى أن التشادق والكذب والخداع فيها أكثر وليس كذلك الحساب والتحصيل والاستدراك "[1] (يعني البلاغة)

ففي هذا المثال نجد أن "ابن عبيد " مناصر الحساب أراد أن يبرز" للتوحيدي" مناصر البلاغة ، أن ما تقر به البلاغة لا يمكن أن يقارن مع ما يقر به الحساب ، وإذا لاحظنا المثال نجده يحاول أن يقزم من قيمة البلاغة ، وقد أورد حججا مرتبة ترتيبا عموديا .

وقد بدأ بالحجة الضعيفة ثم الأقوى حتى وصل إلى أقوى الحجج ، ويمكن أن نمثلها بالشكل التالي حتى تتضح الرؤية أكثر



[1] – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 90

وقد أنزل " ابن عبيد " "التشادق" في المرتبة السفلى من السلم الحجاجي وهو امتلاء الفم بالكلام لأن صاحب البلاغة له كم هائل من الكلام يحاول أن يفرغه على عكس صاحب الحساب الذي لا يتكلم كثيرا ، في حين يكون الكذب فيها أي في البلاغة أكثر من الحساب لأن هذا الأخير يقوم على أسس منطقية وبرهانية ثابتة ، على غرار البلاغة التي تقوم على الإدعاء وبالتالي يلجأ صاحبها إلى الكذب ، في حين نجد الخداع هي الحجة الأقوى في السلم ، لأن البلاغة تقوم على هذا النوع أي خداع المتلقي بزخرفتها وأساليبها.

فكل هذه الحجج تخدم نتيجة ضمنية من قبيل " هزل البلاغة " ، فالتشادق هي حجة أولى ، في حين نجد أن "الكذب" جاء كحجة ثانية أقوى من الأولى ، أما الخداع فهو أقوى الحجج على هزل البلاغة والذي ورد في أعلى درجة السلم الحجاجي .

ويمكن أن نأخذ نموذجا آخر من نفس الليلة :

وذلك عندما أراد " ابن عبيد " أن يبرز محاسن الحساب على البلاغة فقال : " فتلك صناعة معروفة بالمبدأ ، موصولة بالغاية ، سريعة المنفعة "[1].

فـ" متى" بدأ بالحجة الأولى " فتلك صناعة معروفة بالمبدأ " أي أن صناعة الحساب لها مبدأ واحد تسير عليه لا يتغير على عكس البلاغة التي تعتمد الزخرفة والحيلة .

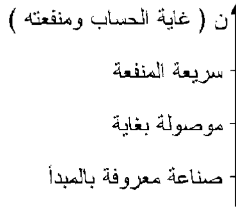
ثم لجأ إلى الحجة الثانية " موصولة بالغاية " وجاء كتدعيم أقوى للحجة الأولى ، بما أن صناعة الحساب معروفة بالمبدأ فإنها تكون موصولة بغاية أي توصل غاية للمتلقي.

ثم لجأ إلى الحجة الأخيرة وهي الحجة الأقوى في بناء السلم وهي " أن صناعة الحساب هي صناعة سريعة المنفعة ، فترك هذه الحجة في الأخير ليدعم به القول برمته، لأن " ابن عبيد" لو بدأ بهذه الحجة لكان هناك خلل في الترتيب مما يؤدي إلى عدم إقناع "التوحيدي" .

---

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 90

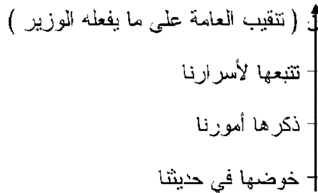
فهناك تدرج وتراتبية في الحجج الملقاة ، أي ان هناك تفاوتا من حيث القوة فيما يخص بناء هذه الحجج التي تنتمي إلى قسم واحد أو هي تخدم نتيجة واحدة من قبيل " غاية الحساب ومنفعته". ويمكن أن نمثّله بالشكل التالي :



ويمكن أن نأخذ مثالا آخر :

قال الوزير : " قد والله ضاق صدري بالغيظ لما يبلغني عن العامة من خوضها في حديثنا ، وذكرها أمورنا وتتبعها لأسرارنا "[1]

ويمكن أن نمثّلها بالشكل التالي :



فكل هذه الحجج التي أوردها الوزير تؤكد على سخطه من الناس الذين يبحثون عن شؤونه ، ورتب هذه الحجج وفق درجة قوتها ، فبدأ بأنقصها دلالة على النتيجة ، وهي "

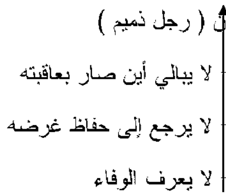
(1) – أبو حيان التوحيد : الإمتاع والمؤانسة ، ص 426

خوضها في حديثنا" ، ثم أتى بحجة أخرى أقوى منها " ذكرها أمورنا " لأنه من الطبيعي أن نخوض في الحديث ثم نذكر الأمور ، ثم أتى بالحجة الأقوى وهي " تتبعها لأسرارنا

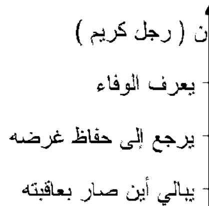
وسوف نقوم بإيراد مثال آخر ، ولكنه متعلق بالنفي.

يقول " التوحيدي " : " وأما بهرام رجل مجوسي ذميم ، لا يعرف الوفاء ، ولا يرجع إلى حفاظ غرضه ..ولا يبالي أين صار بعاقبته "[1].

نجد أن الحجج المستعملة في هذا المثال هي حجج منفية ، كما أنها جاءت متدرجة من الحجة الأنقص مدلولا إلى الحجة الأقوى مدلولا ، لتؤول بمجملها إلى نتيجة " بهرام رجل ذميم " ، ويمكن أن نمثلها في السلم الحجاجي فتكون بهذا الشكل :



ولو مثلنا هذه الحجج بدون نفي فإنه يتغير مجمل الخطاب ، فتصبح الحجة الأنقص مدلولا هي الحجة الأقوى مدلولا ، والنتيجة المنفية تصبح مناقضة تماما للنتيجة غير المنفية . ويمكن أن نمثلها بهذا الشكل :



---

[1] – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 48

يعرف الوفاء (أ) تؤول إلى النتيجة رجل كريم (ن) ، فتصبح (أ) هي أقوى الحجج بالنسبة ل (ن)

لا يعرف الوفاء (– أ) تؤول إلى النتيجة المضادة رجل ذميم (لا– ن) ، فتصبح (–أ) هي الحجة الأضعف بالنسبة (لا– ن)

فقوة النفي تترتب ترتيبا عكسيا ، فمادام لا يبالي أين صار بعاقبته ، فكيف يعرف الوفاء ، فتصبح الحجة " لا يبالي أين صار بعاقبته " هي الحجة الأقوى على أنه رجل ذميم .

هذا النوع من السلم يسميه " طه عبد الرحمان " قانون تبديل السلم"[1] .

و إلى مسألة أخرى تتعلق بالسلم الحجاجي وهي مفهوم القوة الحجاجية ، فهناك علاقة وطيدة بين مفهوم السلم الحجاجي ومفهوم القوة الحجاجية .

ورأينا آنفا أن الحجة التي تقع في أعلى درجة السلم الحجاجي هي الحجة الأقوى ، وبعبارة أخرى أن الحجج تكون متفاوتة من حيث القوة الحجاجية .

فالأقوال الاستعارية تكون أعلى حجاجيا من الأقوال العادية ، ورأينا هذا في الفصل الخاص بآليات الحجاج البلاغية.

كما تكون للروابط الحجاجية ونخص بالذكر (لكن ، بل ، حتى) دور مماثل لأقوال الاستعارية ، فالأقوال التي ترد بعد هذه الروابط تكون أقوى حجاجيا وأعلى سلميا من الأقوال التي ترد قبلها.[2]

ويمكن أن نمثل لهذا بالأمثلة التالية :

قال أبو سليمان أثناء تعريفه للتمام ، قال : " التمام أليق بالمحسوسات ، والكمال أليق بالأشياء المعقولة ، وقال ليست هذه الفتيا مني جازمة ولا عن العرب العاربة مروية،ولكن

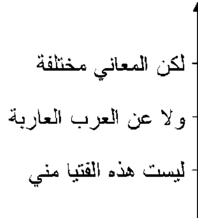
---

(1) طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 278

(2) – ينظر : أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص 131

المعاني مختلفة..."[1]

ويمكن أن نمثله بالشكل التالي :

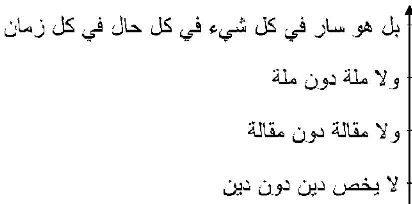


فالحجة التي جاءت بعد الرابط الحجاجي هي الحجة التي وردت في أعلى السلم الحجاجي نظرا لما تحمله من قوة ، لأن ما قاله أبو سليمان ليس من عنده ولا من غيره ، ولكن قارن بين معنى "التمام" و" الكمال" فوجدهما لا ينطبقان.

ولنأخذ مثال آخر على الرابط الحجاجي "بل"

قال أي " أبو سليمان" : " وهذا لا يخص دينا دون دين ، ولا مقالة دون مقالة ، ولا نحلة دون نحلة ، بل هو سار في كل شيء في كل حال في كل زمان "[1].

ويمكن أن نمثله بالشكل التالي :



(1) أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 464

(1) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 502

يريد أن يؤكد على أن الدين موضوع على القبول والتسليم والمبالغة في التعظيم ، لا يخص دينا دون دين .... بل هو سار في الحياة وصالح لكل زمان ومكان أو يريد أن يصل إلى أن الدين يكون موضوع في الإنسان بالفطرة ، ويجب أن يسلم به ولا يسأل عنه .

وأتى بالحجة التي ترد بعد الرابط في أعلى السلم الحجاجي ، وهذا ما رأيناه سابقا أن ما يأتي بعد "بل" يكون أقوى من الحجة التي تأتي قبله .

بعد تحليلنا لبعض النماذج من السلم الحجاجي ، نجد أن " التوحيدي " استعمله في معظم لياليه ، أي أنه يبدأ من الحجة الضعيفة لينتهي إلى الحجة القوية لاستمالة " الوزير " والتأثير فيه.

4 - الأفعال اللغوية :

اهتم الدارسون بالقول وعلاقته بالفعل في إطار الحجاج اللغوي. وهذا كما رأيناه سابقا (الفصل النظري)

وسوف نقوم بتحليل بعض النماذج من " الإمتاع والمؤانسة " الذي يتوفر على مجموعة كثيرة من الأفعال اللغوية ، ولكننا نقتصر على الاستفهام ، الأمر ، النهي . ونرى كيف تعمل هذه الأفعال حجاجيا.

1.4 - الاستفهام :

و نجد فلاسفة اللغة (أوستين ، سيرل) أدرجوه ضمن الأفعال الانجازية.

كما ميز كل من " ديكرو" و " أنسكومبر" في فصل من كتابهما " الحجاج في اللغة" نوعا من الاستفهام وأطلقا عليه الاستفهام الحجاجي وهو : " نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله ، انطلاقا من قيمته الحجاجية"[1]

بمعنى أن الاستفهام يحمل افتراضات ضمنية (غير مصرح بها) ، تجعله يحمل استفهاما حجاجيا .

ولنأخذ المثال التالي :

فقال : " فأين الدين من الفلسفة ؟ وأين الشيء المأخوذ بالوحي النازل ، من الشيء المأخوذ بالرأي الزائل ؟"[2]

فالاستفهام هنا يمكن أن نعتبره حجة يخدم نتيجة من قبل " أن الشريعة أرفع شأنا من الفلسفة"

---

(1) أبو بكر العزاوي : الخطاب والحجاج ، ص 57

(2) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 205

كما أنه قائم كذلك على افتراض ضمني ، أي وفق ما يقتضيه السياق . فمثلا الاستفهام في قوله "وأين الشيء المأخوذ بالوحي النازل ،.... ؟ "

فهذا الاستفهام يحمل افتراضا ضمنيا من قبيل أن الذي أتى بالدين أو بالشريعة هو النبي صلى الله عليه وسلم لأن الوحي نزل عليه من الله تعالى فما يقوله هو الحق ، وأما الفلسفة فهي كلام غير ثابت لأن الفيلسوف من يقر بذلك والفيلسوف دون النبي لأن النبي مبعوث والفيلسوف غير مبعوث ويمكن أن نمثلها بالشكل التالي :

- الدين (الشريعة)← النبي← يوحى إليه← مبعوث ← ما يقوله حق

- الفلسفة← الفيلسوف ← لا يوحى إليه ← غير مبعوث← رأيه زائل وقابل للدحض.

فهذا الاستفهام يحمل طاقة حجاجية تكمن في أن الشريعة هي الأصح وعلى جميع الناس أن يتبعوها على عكس الفلسفة التي لا تقارن بالشريعة ، فهذا الاستفهام وجه المتلقي إلى خيار واحد وهو أن تتبع الشريعة وهذا ما أراد المرسل أن يصله هو لا حسب ما يريد الآخرين.

ويمكن أن نمثل له بمثال آخر :

قال شقيق : " اشتريت بطيخة لأمي ، فلما ذاقتها سخطت فقلت يا أمي على من تردين القضاء ومن تلومين ، أحارثها أم مشتريها أم خالقها ؟ "[1]

فهذا الاستفهام يحمل افتراضا ضمنيا يمكن تأويله بهذا الشكل :

- بما أن الأم سخطت على ذوق البطيخة فهي تلوم ابنها

- الابن أراد أن يبرأ نفسه انطلاقا من الاستفهام الذي طرحه

- لوم أم شقيق على البطيخة يمكن أن يكون على الحارث أو المشتري أو الخالق

(1) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 290

- الحارث والمشتري لا ذنب لهما في ذوق البطيخة
- يبقى الافتراض الأخير أن الأم تلوم الخالق
- بما أن الخالق هو خالقها وخالق كل شيء فلماذا تلومه الأم؟

فتكمن طاقة الحجاج في هذا الاستفهام أن" شقيق" يريد أن يبرأ نفسه اتجاه أمه بأن البطيخة خلقت هكذا ، بمعنى أن خالقها هو الذي أعطاها هذا الذوق

فقد أقنع أمه بسلطة عليا حتى يكون بريئا اتجاه أمه وترضخ لهذه السلطة ، فشقيق من خلال الاستفهام وجه الخطاب كما أراد وبالتالي جعل أمه تسير في اتجاهه.

2.4 - الأمـــــــــــــــــــــــــــــر :

يعد الأمر من الأفعال الانجازية ولكنه انجاز ضمني ،لأنه يهدف إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين.

ولنأخذ المثال التالي :

قال الوزير : " تكلم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله العامري ..."[1]

إذا تأملنا هذا المثال نجد الفعل اللغوي (تكلم...) ، أمرا أصدره الوزير بموجب السلطة ، والتوحيدي ما عليه إلا أن يخضع لهذه السلطة ويستجيب لها . ولكن كيف يعمل هذا الفعل اللغوي حجاجيا ؟

إن القول : " تكلم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله العامري" ، هو حجة يخدم نتيجة ضمنية من قبيل " أن ما يقوله العامري على القدر والجبر غير واضح " أو " أن كلام العامري لم يقنع الوزير". فهنا الحجة صريحة والنتيجة ضمنية.

---

(1) - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 194

ويمكن أن نمثلها بهذا الشكل:

تكلم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله العامري ⊏ كلام العامري لم يقنع الوزير ، فهناك آراء أخرى أوضح منه

ويمكن كذلك أن تكون الحجة مضمرة والنتيجة صريحة، فـ" تكلم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله العامري " تكون النتيجة التي يريد الوزير أن يصل إليها وهي صريحة ، وتكون الحجة هنا ضمنية ومضمرة وهي : " أن ما يقوله العامري لم يقنع الوزير " لتكون هي الحجة التي أراد الوزير من ورائها أن يصل إلى ما أمر به التوحيدي ويمكن أن نمثلها بالشكل التالي :

الكلام الذي قاله العامري لم يقنع الوزير ⊏ تكلم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله العامري.

وإذا أدرجنا رابط من الروابط المدرجة للنتائج فتكون على هذا النحو :

فما قاله العامري لم يقنع الوزير فهناك آراء أخرى أوضح منه إذن تكلم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله العامري .

فيبدو لنا حسب هذا التحليل أننا نرجح القول الثاني ، فتنفيذ الأمر هو النتيجة التي أرادها الوزير من أبي حيان ، وكذلك فإنها تتضمن قدرة أبي حيان على تنفيذ هذا الأمر من ناحيتين : الأولى أنه خاضع لسلطة الوزير و الثانية للثقافة التي يملكها التوحيدي.

وفي الأخير نقول إن هذا الخطاب الذي جاء في صيغة الأمر بين شيء غامض للوزير ، وهو قضية القدر والجبر التي لا يسع لرجل واحد أن يفصل فيهما ، لذلك أمر الوزير التوحيدي أن يطلعه بكل التفاصيل .

ففي هذا الفعل حمل الوزير التوحيدي وألح عليه على انجازه ، وأراد الوزير أن يوجه القول كما يرى هو ، بل وللسيطرة على ذهن التوحيدي .

3.4 – النـــــــــــــــــــهي :

وهو كذلك من الأفعال الانجازية التوجيهية ، ويمكن أن نمثل له بالمثال التالي :

رأى أبو هريرة رجلا مع آخر فقال : " من هذا الذي معك ؟ قال أبي، قال : فـــلا تمـــش أمامه ، ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه "[1]

ففي هذا المثال نجد ثلاث أقوال انجازية جاءت على صيغة النهي ، وهي لا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه

فالفعل اللغوي الأول : "لا تمش أمامه" هو حجة يحمل نتيجة ضمنية من قبيـــل" امـــش خلف أبيك وذلك احتراما له"

الفعل اللغوي الثاني : " لا تجلس قبله " هو حجة تحمل نتيجة ضمنية من قبيل " اجلـــس بعده احتراما له كذلك"

الفعل اللغوي الثالث : " لا تدعه باسمه " هو حجة أخرى تحمل نتيجة ضمنية من قبيل " لا تنادي أبيك باسمه وناديه بابا تقديرا واحتراما له "

فكل هذه الحجج التي جاءت على صيغة النهي تحمل نتيجة ضمنية واحدة وهي " الحث على الاحترام" أي احترام الأب

فهذه الأفعال اللغوية التي جاءت على صيغة النهي مثلت دعوة واضحة وهي مجموعة من القيم والأخلاق التي أقر بها أبو هريرة فهو يهدف من وراء ذلك إلى التحلي بهـــذه الأخـــلاق اتجاه الوالدين

وقد وجه الخطاب برمته إلى ما أراد أن يحققه ، واستعمل هذه الأفعال للسيطرة على ذهن المتلقي

---

(1) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 292

5 – تقنية التـــــــــــكرار :

يعتبر أسلوب التكرار أو المعاودة من أبرز الأساليب الحجاجية التـــي يقــدمها المـــتكلم لفائدة أطروحة ما ، وكما يرى " العزاوي " في هذه المسألة أن التكرار " لـــيس هـــو ذلـــك التكرار المولد للرتابة والملل ، أو التكرار المولد للخلل والهلهلة في البناء ، ولكنـــه التكـــرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء النص أو الكلام بصفة عامة ، إنه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانزمات عملية إنتاج الكلام ، وهو أيضـــا التكـــرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميه"[1]

وترى " الدريدي " أيضا أن أسلوب التكرار يمكن أن يكون بأنواع مختلفة ، إذ تقول : " أول هذه الأنواع التكرار اللفظي القادر على الاضطلاع بدور حجاجي متى اعتمد في سياقات محددة وتوفرت فيه شروط معينة"[2]

وإذا نظرنا في " الإمتاع والمؤانسة" نجد التكرار يشمل عناصر عديدة ، منهـــا تكـــرار الروابط الحجاجية ، تكرار الألفاظ...

أما فيما يخص التكرار اللفظي فإننا نجد لفظة " النفس" التي جاءت في أكثر من موضع ، وذلك عندما سأل " الوزير " " أبا حيان "عن النفس.

قال : " أما قوله ما النفس ؟ : فإن التحديد يعوز ، والرسم لا يشفي ، والوصف مقتصـــر عن الغاية ، لأنها ليس لها جنس ولا فصل ... ، ولهذا ما اختلف الناس قديما ولا حديثا فـــي حدها فقال قائل : النفس مزاج الأركان ، وقال قائل : النفس تألف الأسطقسات * ، وقال قائل : النفس هوائية ، وقال قائل : النفس روح حارة ، وقال قائل : النفس طبيعة دائمـــة الحركـــة ..."[3]

---

(1) – أبو بكر العزاوي : الخطاب والحجاج ، ص 48

(2) – سامية الدريدي : الحجاج في الشعر القديم ، ص 168

* العناصر الأربعة الأساسية وعند القدماء وهي الماء والتراب والهواء والنار

(3) – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 444

فتكرار لفظة " النفس " أكثر من مرة فهي عبارة عن حجج معتمدة في تأكيد أن النفس لا تأخذ معنى واحد ، وزاد في تأكيد القضية التي طرحها وهي أن النفس تحديدها يعوز والكتابة لا تشفي ...

فلفظة " النفس" التي تكرر ذكرها في كل أجزاء المقطع فقد اختلفت دلالتها من جملة إلى أخرى ، ومن سياق لسياق آخر ، فلفظة "النفس" ترد في كل مرة بمعنى مغاير وجديد.

فلفظة " النفس" تساهم في خلق وبناء اتساق وانسجام حجاجي ، وليس في هلهلة الكلام ، فالتوحيدي أراد أن يقنع الوزير بأن النفس لا يمكن أن تستقر على معنى واحد ، وقد أورد كل الأهداف والمقاصد الحجاجية التي أراد أن يصلها .

لقد أشرنا آنفا أن التكرار يساهم في تنامي النص وانسجامه حجاجيا ، فيا ترى كيف يكون ذلك ؟ ، ولنأخذ المثال التالي :

" ألا ترى رجلا لو قال : نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم الحق ، وتكلم بالفحش لكن ما قال الفحش ، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح ، وأبان المراد ولكن ما أوضح ، أو فاه بحاجته ولكن ما لفظ ، أو أخبر ولكن ما أنبأ "[1]

إن تكرار الرابط الحجاجي " لكن" قد ساهم بشكل كبير وفعال في بناء النص وتوالده وانسجامه ، وبالتاي أقام علاقة حجاجية بين الحجة التي تأتي قبله والحجة التي تليه ، أي أن هناك ارتباط اللاحق بالسابق .

فمثلا لفظة " الحق " في المثال الأول اختلفت دلالتها بمعنى أنه عندما كانت قبل الرابط تعني دلالة وبعده تعني دلالة أخرى وهي معارضة ونقيضة للدلالة الأولى ، بمعنى آخر أن العلاقة الحجاجية الجديدة – التي وردت بعد لكن- تضيف عناصر حجاجية للعلاقة السابقة.

من هنا نستنتج أن تكرار جل الروابط الحجاجية في " الإمتاع والمؤانسة" تعمل على اتساقه وانسجامه حجاجيا.

---

[1] – أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 104

خـــــــــــلاصـــــــــة :

فهذا الفصل الذي قمنا بتحليله ، هو محطة أخرى حاورنا فيها المدونة بغية الكشـــف عـــن بعض الآليات اللغوية الحجاجية التي تضمها هذه المدونة ، ورأينا أن " التوحيدي " مثل هـــذه الآليات كالروابط والعوامل الحجاجية والسلم الحجاجي والأفعال اللغوية ...

ورأينا أنه لا يهدف إلى إخبار المتلقي وتقديم المعلومات ، بل استعان بها للتأثير والإقنـــاع ومحاولة استمالة الوزير ، ودفعه ليقنع نفسه بنفسه .

وكذلك يريد أن يصل إلى مقاصده الحجاجية التي اعتمد فيها على مقاصده بغية الوصـــول إلى الوجهة الحجاجية التي يريده.

وبذلك

الخاتمة

بعد هذه الرحلة القصيرة ، رأينا أن الحجاج ظهر بمعان مختلفة كالجدل والحوار والمناظرة ، وكل هذه المعاني تفضي إلى غاية واحدة وهي محاولة التأثير والإقناع ووصول المتكلم إلى مبتغاه.

كما رأينا أن الحجاج يمكن أن يوظف في كل المجالات ، وقد أنجزنا تطبيق هذا المنهج على مدونة تراثية قديمة ، فوجدناها تتوفر على أكثر من وجه حجاجي ، وسنحاول إجمال بعض النتائج التي توصلنا إليها :

- هناك من يعتقد أن كتاب " الإمتاع والمؤانسة " كتاب تراثي أدبي لا يصلح لأن تكون له أبعاد و آليات حجاجية ، لكننا رأينا أنه يحمل في طياته طابعا حجاجيا خالصا يريد من خلاله " التوحيدي " الوصول إلى أغراضه من جهة والتأثير وإقناع الوزير من جهة أخرى ، وقد تنوعت هذه الأغراض الحجاجية ، بتنوع الليالي ، فهو في كل ليلة يطرح قضية معينة ثم يلجأ للدفاع عنها.

- أثناء تحليلنا لبعض النماذج من المدونة لاسيما البلاغية و اللغوية ، نجده التوحيدي يركز دائما على تقديم النتيجة ثم إدراج الحجج لتدعيم هذه النتيجة أو العكس ، وقد تكون الحجج أو النتيجة ضمنية ، فنقوم باستخلاصها من مقاصد المتكلم ثم نوجهها وجهة حجاجية ، وذلك انطلاقا من المقاصد.

- اعتمد " التوحيدي" على الخطاب الحجاجي البلاغي ، حتى يجعل خطابه مؤثرا ومقنعا ، لأن اللبس (الإضمار) ، والمجاز في الحجاج يكسبه قوة حجاجية عالية.

ورأينا هذا من خلال تحليلنا لبعض النماذج كالاستعارة والكناية والتشبيه والتمثيل...، هذه العناصر التي تكسب القول درجة عالية من الإقناع و التأثير .

ويمكن النظر إلى هذه الوسائل نظرة جمالية بالإضافة إلى النظرة الحجاجية التي تؤدي الدور الأساس في المدونة

- كما وظف المقام كآلية حجاجية ، ورأينا ذلك أثناء تحليلنا لبعض النماذج ، فهو يسعى في كل مقام للتأثير في المتلقي

- ولجأ أيضا إلى القياس الخطابي وذلك حتى يجعل المتلقي يؤول هذه الأقوال ، ليقنع نفسه بنفسه

- اعتمد على الحجج الجاهزة ، وهي تقريبا موجودة في كل الليالي ، لأن الحجج الجاهزة من الحجج القوية جدا

كما اعتمدت المدونة على الآليات اللغوية ، وهي كما يرى ديكرو : " الحجاج في اللغة هو ظاهرة لغوية نجدها في كل قول وفي كل خطاب".

- ونجده اعتمد على الروابط الحجاجية وذلك من أجل انسجام خطابه حجاجيا من جهة وتوجيه خطابه وجهة قوية من جهة أخرى ، كما رأينا كذلك أنه استعمل التدرج في الحجج وذلك لاستمالة المخاطب والتأثير فيه.

- لجأ كذلك إلى الأفعال اللغوية كالاستفهام والأمر والنهي ، ووجدناها أنها توجه القول حجاجيا .

وفي الأخير نقول أننا لا نزعم أننا أحطنا بكل الموضوع لأنه موضوع متشعب ، بل حاولنا جاهدين أن نلمس البعض منها محاولة الاقتراب من جوهره لنترك الآليات الأخرى لأبحاث أشمل تكون قادرة بالإحاطة بكل الآليات الحجاجية

ونسأل الله التوفيق ... ولله الحمد من قبل ومن بعد ..

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

1 – الكتب باللغة العربية

1- أرمينكو (فرنسواز) – المقاربة التداولية – ترجمة : سعيد علوش- مركز الإنماء القومي –المغرب – د ط – د ت

2- أمين (أحمد) ومحمود (زكي نجيب)- قصة الفلسفة اليونانية – مطبعة الجنة-ط5-1964

3- أوكان (عمر) – اللغة والخطاب – إفريقيا الشرق-المغرب – د ط – 2001

4- الباجي (أبو الوليد)- المنهاج في ترتيب الحجاج – تحقيق : عبد المجيد تركي -دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط 3 – 2000

5- باطاهر (بن عيسى)- البلاغة العربية(مقدمات وتطبيقات)- دار الكتب الجديدة – بيروت- لبنان – ط 1 – 2008

6 – الباهي (حسان)- الحوار ومنهجية التفكير النقدي- إفريقيا الشرق- المغرب-ط1-2004

7 – بغورة (الزاوي)- الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة)-دار الطليعة- بيروت- ط3 – 2000

8 – بلخير (عمر)- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية-منشورات الإختلاف-ط1- 2003

9 – بناني (محمد الصغير) – النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية من خلال البيان والتبيين – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر

10 – بوجادي (خليفة)- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس القديم-بيت الحكمة-ط1-2009

11- تركي (عبد المجيد) - مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي - تحقيق وتعليق : د. عبد الصبور شاهين - مراجعة محمد عبد الحليم محمود - دار الغرب الإسلامي - لبنان - ط 1 - 1986

12- التوحيدي (أبو حيان)-الإمتاع والمؤانسة-تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل -دار الطليعة-بيروت-ط1-2005

13 - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)-البيان والتبيين -تحقيق عبد السلام هارون-دار الفكر-دط-دت

14 - الجرجاني (عبد القاهر)- أسرار البلاغة في علم البيان - تحقيق عبد الحميد هنداوي -دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان - ط1 - 2001

15 - الجرجاني (الشريف علي بن محمد) - التعريفات - تحقيق : إبراهيم الأبياري - دار الريان للتراث -دط-دت

16 - الحباشة (صابر) - التداولية والحجاج مداخل ونصوص -صفحات للطباعة- سورية-ط1-2008

17 - خلية البحث التربوي-الحجاج في درس الفلسفة-إفريقيا الشرق-المغرب-ط1- 2006

18 - دايك (فان)-النص والسياق (استسقاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)- ترجمة : عبد القادر قنيني-إفريقيا الشرق-المغرب-دط-2000

19 - الدريدي (سامية)-الحجاج في الشعر من الجاهلية إلى القرن الثالث هجري-عالم الكتب-الأردن-ط1-2008

20- دلاش (الجيلالي) - مدخل إلى اللسانيات التداولية - ترجمة محمد يحياتن - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر

21 - الرماني (أبو الحسين علي بن عيسى)-معاني الحروف -تحقيق : عرفان بن سليم العشا حسونة-المكتبة العصرية-بيروت-ط1-2005

22- روبول (آن) وموشلير (جاك)-التداولية اليوم-ترجمة " سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني-دار الطليعة-بيروت-ط1-2003

23 - الزمخشري (أبو القاسم جار الله)- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل- تحقيق : الشريف علي بن محمد علي السيد وأحمد بن محمد الاسكندري-دار الفكر - بيروت-لبنان-ج1- دط-2006

24 - السكاكي (أبو يعقوب) مفتاح العلوم-تحقيق نعيم زرزور-دار الكتب العلمية-لبنان-ط1-1983

25 - الشعبان (علي)-الحجاج بين المنوال والمثال(نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري-مسكلياني-تونس-ط1-2008

26 - الشهري (عبد الهادي بن ظافر)-استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية)-دار الكتب الجديدة المتحدة- ط1-2004

27 - صكوحي (كورنيلا فون راد) - الحجاج في المقام المدرسي - منشورات كلية الآداب منوبة - 2003

28- صمود (حمادي)- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم-منشورات كلية الآداب-منوبة-1998

29 - صولة (عبد الله)-الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية-دار الفارابي-بيروت-ط2-2007

30 - طاليس (أرسطو)- الخطابة-ترجمة : عبد الرحمان بدوي-وكالة المطبوعات-الكويت-دار القلم -بيروت-لبنان-دط-1979

31 - طروس (محمد)- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية-دار الثقافة-المغرب-ط1-2005

32 - عبد الرحمان (طه)- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام-المركز الثقافي العربي-ط2-2000-

33 – عبد الرحمان (طه)– اللسان والميزان أو التكوثر العقلي–المركز الثقافي العربي–ط1–1998

34– عبد المجيد (جميل)– البلاغة والاتصال–دار غريب–مصر–دط–2000

35 – العزاوي (أبو بكر)– الخطاب والحجاج–الأحمدية للنشر–ط1–2007

36 – العزاوي (أبو بكر)– اللغة والحجاج–العمدة في الطبع–المغرب–ط1–2006

37 – العسكري (أبو هلال)–الصناعتين–تحقيق تحند البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم–المكتبة العصرية–بيروت–ط1–2006

38 – عشير (عبد السلام)–عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)إفريقيا الشرق–المغرب–ط1–2005

39 – العمري(محمد)– البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول–إفريقيا الشرق–المغرب–ط1–2005

40 – العمري (محمد) البلاغة العربية أصولها وامتداداتها – إفريقيا الشرق – المغرب – دط – 1999

41 – العمري (محمد)–في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)–دار الثقافة–الدار البيضاء–ط1–1986

42 – القرطاجني (حازم)–منهاج البلاغاء وسراج الأدباء–تحقيق : محمد الحبيب ابن خوجة–دار الكتب الشرقية–تونس–دط–1966

43 – القزويني (أبو العلاء جلال الدين الخطيب)–الإيضاح في علوم البلاغة–راجعه عماد بسيونيزغلول–مؤسسة الكتب الثقافية–بيروت–لبنان–ط3–دت

44 – كميلة (وتيكي)–كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة(مقاربة تداولية)–دار قرطبة–ط1–2004

45 – المصطفى(شوقي)–المجاز والحجاج في درس الفلسفةبين الكلمة والصـــورة–دار الثقافة–الدار البيضاء–ط1–2005

46 – من أعمال ملتقى غازي–في أنماط النصوص الأبنية الفنية والتاويل–سراس للنشر–جربة–تونس–2001

47 – ابن منظور (جمال الدين)–لسان العرب (مادة حجج)–دار صادر بيروت–مج2–ط1–1997

48 – النقاري (حمو)–التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفـــه–منشـــورات كليـــة الآداب والعلوم الإنسانية– الرباط –ندوات ومناظرات رقم 134–ط1–2006

49 – النقاري (حمو)–منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطـــق الحجـــاجي الأصولي–دار الامان–الرباط–المغرب–ط1–2005

50 – ابن وهب (أبو الحسين اسحاق)–البرهان في وجوه البيان –تقديم وتحقيق : جفني محمد شرف–مطبعة الرسالة عابدين–مصر–دط–دت

2 – باللغة الأجنبية

1- Paolo Pier : Language and Social Contex-Penguig group-london-1st published-1972

2- Combrige Advanced Learners Dictionary-Combridge University press-2nd pub-2004

3- Le grand Rrobert-Dictionnaire De La langue Françai-1er rèdaction-paris-1989

3 – المجلات والدوريات

1 – أعراب (حبيب)-الحجاج والاستدلال الحجاجي-مجلة عالم الفكر-ع1-مج30-سبتمبر 2001

2 – بلبع (عيد)-الرؤية التداولية للاستعارة-مجلة علامات-ع23-2005

3 – رشيد (الراضي)-الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وانسكومبر-مجلة عالم الفكر-ع1-سبتمبر-2005

4 – العبد (محمد)-النص الحجاجي العربي(دراسة في وسائل الإقناع)-مجلة فصول ع60- صيف 2002

5 – الولي (محمد) من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات-مجلة فكر ونقد-ع8-1998

4 – الانترنيت

1 – جان سرفوني : اللسانيات التداولية -ترجمة الحاج حمو ذهبية-www.orm.org

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة